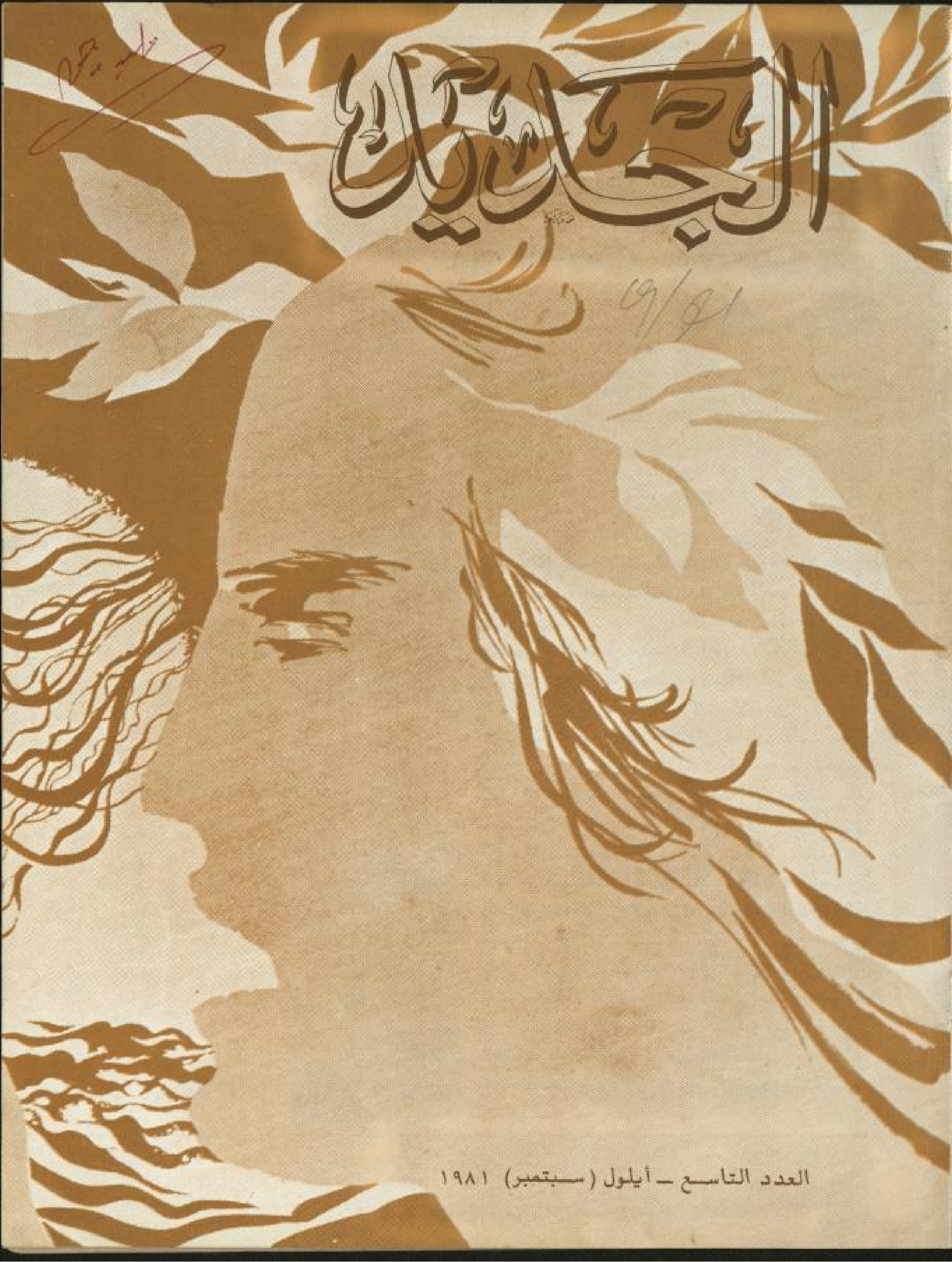


الجديد

العدد التاسع ـ أيلول (سبتمبر) ١٩٨١

الجديد

مجلة شهرية ثقافية
تأسست في حيفا عام ١٩٥١

عنوان هيئة التحرير:
حيفا
شارع مار يوحنا ٣٩ .
ص. ب ١٠٤
تلفون: ٦٦٦٦٤٨ / ٠٤

عنوان الادارة:
حيفا
شارع الحريري ٩
ص. ب ١٠٤
تلفون ٧-٥١١٢٩٦ / ٠٤

تطبع في:
مكتبة ومطبعة أبو رحمون
عكا: تلفون: ٩١٦٢٧٨ / ٠٤

المحرر المسؤول:
المحامي حنا نقارة



مهرجان "أبو سلمى"

في الذكرى السنوية الاولى لوفاته

مضى عام على وفاة شاعر فلسطين "ابو سلمى" حيث توفي في ١١ تشرين أول ١٩٨٠ أثر مرض لم يمهله طويلا . والناصرة التي كرّمت الشاعر في اربعينه تكرّمه في ذكرى مرور عام على وفاته، حيث سيعقد في ٢٤ تشرين أول القادم مهرجان كبير في قاعة المركز الثقافي البلدي يشارك فيه عدد من الشخصيات الادبية والوطنية الفلسطينية من هنا ومن المناطق المحتلة .

وقد وجّه المحامي حنا نقارة، صديق المرحوم ورفيق دربه حتى يوم نزوحه، رسالة الى اعضاء لجنة التابين التي نظمت احتفالات الاربعين مقترحا اعادة تشكيلها لتشرف على احتفال الذكرى السنوية الاولى .

ومن المتوقع أن تباشر اللجنة اعدادتها واعمالها في الايام القريبة القادمة . وسيتخلل المهرجان قراءات شعرية لابي سلمى وعنه وتحيّات يقدمها ممثلو الهيئات الشعبية وكذلك كلمات أدبية عن تراث أبي سلمى ودوره في تعزيز الحركة الثقافية الفلسطينية قبل النكبة وبعدها .

وعلى شرف المهرجان وهذه الذكرى، سيصدر كتاب يضم مجموعة كبيرة من المقالات والدراسات عن ابي سلمى نشرت في الصحف المحلية وفي الخارج وبعض الكلمات التي القيت في مهرجان التابين .

اعد الكتاب الاستاذ انطوان شلحت وسيصدر عن مكتبة ومطبعة أبو رحمون ــ عكا .

تقرأ في هذا العدد

مهرجان الصحافة الشيوعية .. انطلاقة جديدة
رأى الجديد ص ٤

فلسطين في العهد العثماني (الحلقة الثامنة)
نهوض القومية العربية الدكتور اميل توما ص ٥

العرب في عينة من أدب الاطفال الصهيوني
(الحلقة الاولى) انطوان شلحت ص ٨

بالبريد الجوى ص ١٢

وقائع مهرجان الصحافة الشيوعية
وكلمة الجديد ص ١٦

قراءة لرواية علي الخليلي "المفاتيح تدور في الاقفال"
اسامه محاميد ص ١٩

وما نسينا ـ "مفكرة" ـ الحلقة ١٤
سلمان ناطور ص ٢٢

الحرية ـ قصة فلسطينية ص ٢٥

كولاج سميح القاسم ص ٢٦

تقدمي ـ أقصوصة رياض مصاروة ص ٢٨

الرفيق أبو شهاب ـ أقصوصة
يوسف طاهر العبيدى ص ٣٠

غسق ـ قصة قاسم عبد الكريم ص ٣٢

حوار مع ميشيل خليفي زياد فاهوم ص ٣٤

بوب ديلان ـ ميخائيل توما والياس أيوب ص ٤١

صدر مؤخرا ص ٤٤

الثمن ٧ شاقل



لوحة الغلاف عن مجموعة "المعرض التشكيلي العالمي من أجل فلسطين" الذي صدر عام ١٩٧٨ عن قسم الفنون التشكيلية ـ الاعلام الموحد، التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية.



اميل توما :
فلسطين في العهد العثماني
الحلقة الثامنة.
نهوض الحركة القومية العربية



انطوان شلحت :
العرب في أدب الاطفال الصهيوني.



سلمان ناطور :
وما نسينا ـ "المفكرة"



زياد فاهوم :
حوار مع ميشيل خليفي
مخرج فيلم "الذاكرة الخصبة"



ميخائيل توما والياس أيوب :
بوب ديلان
أحد أشهر المغنين من أجل الحرية والسلام...

رأي الجديد

مهرجان الصحافة الشيوعية
انطلاقة جديدة

مهرجان الصحافة الشيوعية التقليدي، بقدر ما يأتي لتكريم هذه الصحافة فانه يأتي لتكريم قرائها وموزعيها، ولتعميق هذه العلاقة الجدلية الوثيقة بين الصحيفة وقرائها، كي يستمد منها القدرة على مقارعة خصومه وكي تستمد منه الطاقة على مواصلة الطريق نحو القضاء على الاضطهاد والاستغلال والظلم وللوصول الى مجتمع يسوده العدل والمساواة والدمقراطية والسلام. وصحافتنا الشيوعية التي ترى في هذا المهرجان وفي اللقاءات المتواصلة مع القراء، خطوات أكيدة لتعميق العلاقة فانها كذلك ترى فيها مناسبات شعبية لتجديد العهد، وللاعراب عن التقدير البالغ لجماهير القراء والموزعين الذين يعملون كل ما في وسعهم من أجل ايصال هذا السلاح الفكري، الكلمة الوطنية التقدمية، والموقف الثوري الى أكبر عدد من أفراد المجتمع الذي يقاسي ويعاني من سلطة الكبت والقمع تحت نير نظام أسياد المال الذين يوظفون كل طاقاتهم، وهي طاقات جبارة لتعميق سيطرتهم ونفوذهم.

منذ قيام الدولة كان على صحافتنا الشيوعية – وهي وحيدة في الميدان تقريبا – أن تتصدى لكل ما يخططه حكام اسرائيل بوحي أيديولوجيتهم الصهيونية، أيديولوجية البرجوازية اليهودية التي وصلت الى الحكم ليس قبل أن ترتكب المجازر وتعمل بدعم الامبريالية العالمية وتواطوء الرجعية العربية على تشريد شعب بأسره ومحاولة طمس كل مصالحه ومنجزاته الحضارية والثقافية بمسح عشرات القرى وكل ما يمكن أن يؤكد حق هذا الشعب في الحياة والاستقلال الوطني، وواصل هؤلاء الحكام سياستهم الرجعية العنصرية مجندين أجهزة القمع العسكرية والبوليسية، وكذلك كل الوسائل التكنولوجية ووسائل الاعلام والمؤسسات الثقافية والاجتماعية لتزوير التاريخ وتشويه الحقائق، وكذلك لمواصلة حرب الابادة ضد الشعب العربي الفلسطيني من جهة، ومن جهة أخرى لكبت طموحات الطبقة العاملة في اسرائيل، عربية ويهودية، في تحقيق انجازات ومكتسبات تضمن العدالة الاجتماعية والسلام العادل والثابت في المنطقة. وفي اطار هذه السياسة تعرّضت الجماهير العربية التي آثرت البقاء على أرض الوطن، الى أقسى مظاهر الكبت والاضطهاد، في محاولة لوضع خيارين امام هذه الجماهير امّا أن تدجّن في أقنان الصهيونية متنازلة عن حقوقها القومية والمدنية، ذليلة مستعبدة، وامّا أن ترحل عن البلاد. ولكن هذه الجماهير وبتوجيه ونضالات حزب الاممية البروليتارية، حزب الطبقة العاملة اليهودية العربية، وضعت الخيار الثالث والوحيد: البقاء والنضال الى جانب الكادحين اليهود من أجل القضاء على سلطة البرجوازية الصهيونية الرجعية وللوصول الى الاشتراكية، النظام الوحيد الذي يضمن المساواة والسلام.

هذا الموقف، كان على صحافتنا ليس أن تعكسه فقط، وانما كان عليها أن تعمقه وأن توضحه للجماهير التي تتعرض لعمليات غسل دماغ متواصلة وذكية جدا تقوم بها وسائل اعلام السلطة الرسمية وشبه الرسمية. وعلى الرغم من أمكانيات صحافتنا المحدودة جدا، فانها استطاعت أن تتصدى وتتحدى قوية وواثقة أولا استنادا على كونها هي الوحيدة القادرة على قول الحقيقة دون رياء أو مواربة، وثانيا استنادا على دعم الجماهير لها، حتى انها لم تعد صحافة حزب وحسب، وانما صحافة شعب.

"فالجديد" التي تحتفل هذا العام بمرور ٣٠ عاما على صدورها، الى جانب شقيقاتها "الاتحاد"، "الغد"، "الدرب"، "زو هديرخ"، "عراخيم" و"دير فيغ" والادبيات الدورية الاخرى التي تصدر عن حزبنا الشيوعي، كلها تشكّل تراثا غنيا، يكتسب أكثر من قيمة، فبالاضافة الى قيمته السياسية التاريخية، يكتسب قيمة ثقافية وأدبية وحضارية تشكّل أساسا راسخا في مسيرة الحركة الثورية في هذه البلاد وفي تاريخ شعوب المنطقة بأسرها.

فلنجعل من هذا المهرجان، ومن هذه المناسبة، انطلاقة جديدة نحو زيادة انتشار الصحافة الشيوعية، وخطوة أخرى أكيدة على طريق تعزيز الروابط بين صحافتنا وقرائها.

وكل عام وأنتم بخير.

"الجديد"

دراسة

الدكتور: اميل توما

فلسطين في العهد العثماني

نهوض القومية العربية

الدول الكولونيالية - الامبريالية تجتاح السلطنة العثمانية

ما ان قارب القرن التاسع عشر من نهايته حتى فقدت الامبراطورية العثمانية اكثر اقاليمها في المغرب العربي (شمال افريقيا) كما فقدت الجزء الاطول من سواحل شبه الجزيرة العربية... فالجزائر سقطت في قبضة الكولونيالية الفرنسية في العام ١٨٣٠.. وشاركتها في هذا المصير تونس في العام ١٨٨١.. اما مصر فاحتلتها الكولونيالية البريطانية في العام ١٨٨٢.. وكانت تلك الدولة قد بدات زحفها قبل ذلك للاستيلاء على سواحل شبه الجزيرة العربية ابتداءا من عدن على البحر الاحمر حتى الكويت على الخليج العربي (الفارسي).

وفي الوقت نفسه كانت الدولتان الكولونياليتان بريطانيا وفرنسا انتقلتا، نتيجة التطور الراسمالي فيهما، الى اعلى مراحل الراسمالية، الامبريالية، وانضمت اليهما المانيا وايطاليا اللتان بفعل التطور غير المتعادل، وتخلفهما في انشاء دولتيهما القوميتين الموحدتين، لحقتا بركب الامبريالية في وقت متأخر وقد قاربت عملية توزيع المستعمرات على النطاق العالمي على الانتهاء.. بداهة ان الكولونيالية الروسية القيصرية بقيت في ميدان التنافس على مخلفات السلطنة العثمانية في المشرق العربي.

وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر اقترن استيلاء الدولتين الامبرياليتين بريطانيا وفرنسا على اقاليم الامبراطورية العثمانية العربية بغزو ما لي على نطاق واسع انتهى باستعباد السلطنة الاقتصادي..

وابتداء في العام ١٨٥٤ تزايدت قروض السلطنة لدى بنوك الدولتين، وفق شروط مجحفة، لتسديد انفاقها على قواتها العسكرية ومد خطوط السكة الحديدية.. وفي حين بلغت ديون السلطنة في العام المذكور ٦٠ مليون فرنك.. وصلت تلك الديون في العام ١٨٧٥ مبلغ ٥٣٠٠ مليون فرنك. (١).

ويظهر معنى هذا الوضع الكارثي، الذي اخضع السلطنة للراسمال الاجنبي، في ان الحكومة العثمانية اقتطعت من مجموع مداخيلها في العام ١٨٧٥، البالغ ٣٨٠ مليون فرنك، مبلغ ٣٠٠ مليون فرنك لتسديد اقساط الديون القصيرة الامد.

ويضيف ف.ب. لوتسكي ان الحكومة اضطرت الى تخصيص الجزية المصريه والمداخيل الجمركية وايرادات ضريبة الاغنام وبيع احتكارات الملح والتبغ وغير ذلك لتسديد هذه الديون وفوائدها.. (تاريخ الاقطار العربية الحديث ٢٧٥ - ٢٧٦)

ومن هنا يتضح ان تصدير الاموال - وهو من ملامح الامبريالية - الى السلطنة، لم يهدف الى مساعدتها على التصنيع بل الى تطوير الخدمات العامة - النقليات او مد خطوط السكة الحديدية.

ولا بد عند هذا الحد ان نذكر حدثا على غاية من الاهمية اذ اعقبته اسقاطات بعيدة المدى هو اتمام حفر قناة السويس وافتتاحها في العام ١٨٦٩ - .. فهذا الممر البحرى غير تغييرا جذريا طرق المواصلات البحرية بين اوروبا واسيا .. واحدث تحولات في سلم افضليات الدول الامبريالية وشدد التنافس بينها .. وزاد من زخم الهجمة الكولونيالية الامبريالية على منطقة السلطنة العثمانية العربية وبخاصه مصر وفلسطين.

وتشير المعلومات الى ان راس المال الفرنسي "تغلب في سوريا ولبنان على منافسية واصبح هذا الجزء من السلطنة مصدر الصناعة الفرنسية من الحرير الخام كما سيطر هذا الراسمال على معامل الحرير في هذين الاقليمين واقام مؤسسات اقراض وتسرب الى المشاريع البلدية مثل تزويد السكان بالمياه، والتنوير والمواصلات ومنها السكة الحديد..

وكتب القنصل الانكليزي مور في هذه الفتره حول الوضع في سوريا واتهم الفرنسيين بنشر الارهاب فيها واكد انهم اصبحوا الحكام الفعليين في البلاد (٢).

لقد ذكرنا ان المانيا الامبراطورية لحقت بالركب الامبريالي الزاحف على المنطقة العثمانية في وقت متأخر ولكنها سرعان ما احتلت موقعا مرموقا سياسيا وعسكريا واقتصاديا فيها. ففي ١٨٨١ عين القائد الالماني فون در غولتز رئيسا للبعثة العسكرية المشرفة على تنظيم الجيش العثماني وفي ١٨٨٩ قام الامبراطور الالماني ويلهم الثاني (غليوم بالعربية) بزيارته الاولى في العاصمة الاستانة وبعدها زار فيما زار مدينتي القدس وحيفا..

وبدون الدخول في تفاصيل الصراعات بين الدول الامبريالية الثلاث بريطانيا وفرنسا والمانيا على المواقع الاقتصادية نستطيع ان نقرر ان هذه الصراعات انتهت باتفاقات متعددة الجوانب بين هذه الدول فيما بينها وبين كل من هذه الدول والسلطنة العثمانية.

وهكذا منحت السلطنة امتيازات للشركات الفرنسية لانشاء مرافئ في طرابلس (الشام) وحيفا ويافا، ومد خطوط سكك حديدية بين الرياض واللد.. وبين طرابلس ويافا عن طريق بيروت وحيفا.. وتم الاتفاق بين فرنسا والمانيا على عدم معارضة فرنسا لامتياز تمنحه السلطنة للشركات الالمانية لمد خط سكة حديد بين حلب واسكندرونة يربط مع سكة حديد بغداد.. وفي الوقت نفسه تم الاتفاق بين بريطانيا والمانيا على توزيع مناطق النفوذ والامتيازات لبناء السكك الحديدية والمرافئ والمخازن والملاحة النهرية في العراق..(٢)

وطبيعي ان يتسع غزو الامبرياليه التجاري في السلطنة.. وتدل المعطيات على ان استيراد السلطنة من الدول الامبريالية استمر في الصعود ووصل في العام ١٩٠٠ — ٢٢٠٨ مليون ليرة بينما في العام ١٨٨٠ ١٧٠٨٠ مليون.. اما في العام ١٩١٣ فقفز الى ٤٠٠٨ مليون ليرة.

وموازيا لهذا الصعود في الواردات الى السلطنة ازدادت قيمة الصادرات من ٨٠٥ مليون ليرة في العام ١٨٨٠ الى ١٤٠٩ مليون في العام ١٩٠٠، و٢١٠٤ مليون في العام ١٩١٣.. ولكن اغلب الصادرات العثمانية كانت مواد خام تصنعها بريطانيا او فرنسا وتعيدها باسعار عالية الى الاسواق العثمانية.

وبحق استنتج المؤرخ السوفيتي لوتسكي ان نمو التجارة الخارجية ادى الى توريط السلطنة بممتلكاتها العربية في الاقتصاد الراسمالي العالمي ولكن لاكاعضاء متساوين في الحقوق بل كملحق يزود اقتصاد اوروبا الراسمالي بالخامات والمواد الزراعية (المصدر ذاته)

وجدير بالذكر ان حصة سوريا والعراق وفلسطين بلغت زهاء ربع الواردات وحوالي خمس صادرات السلطنة العثمانية (المصدر ذاته)

وعلى هذا الضوء يمكن ان نكتشف مدلولات الاشارة في الفصل السابق الى اهمية الهلال الخصيب (سوريا الطبيعية والعراق) للسلطنة باعتبارها تؤلف دعامة اقتصادية لها

وكتب توفيق على برو في هذا الصدد: "كان عبد الحميد (السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦ — ١٩٠٩) يقدر اهمية البلاد العربية ويدرك ان اليوم الذى ينفصل فيه العرب عن السلطنة وعددهم يقارب العشرة ملايين سيكون نذيرا بانهيار الامبراطورية لانهم يشكلون دعامتها، ذلك ان بلادهم اغنى المناطق العثمانية، فهي تمد خزينة الدولة بالقسط الاوفر من المواد او ما يقدر بثلثي الميزانية كما تمدها بالعدد الاكبر من الرجال بجيشها وفيها من املاك الاوقاف اكثر من اى مكان اخر، ومعظم املاك السلطان الخاصه هي في الولايات العربية (كتابه العرب والترك في القاهرة ص ٣٢، واعتمد على ما جاء في كتاب فيكتور بيراد السلطان والاسلام...)

من الصعب ان تحدد حصة فلسطين في صادرات او واردات الهلال الخصيب.

ولكن من المفيد ان نذكر هنا التغييرات الادارية التي حددت موقع المساحة الفسطينية فيها.. ففي الربع الاخير من القرن التاسع عشر عدلت السلطنة ترتيب الولايات...

وفي ١٨٨٨ جعلت بيروت ولاية تضم طرابلس واللاذقية وعكا ونابلس.. كما اعلنت في الوقت نفسه القدس متصرفية مستقله ترتبط بمركز حكومة السلطنة مباشرة وتضم اربعة اقضية: يافا وغزه وبئر السبع والخليل... وكان كل قضاء يضم عددا من النواحي.. وتشمل كل ناحية عددا من القرى والمزارع.. وانتسبت الى قضائي عكا ونابلس ١١ ناحية، فيها ٤٩٤ قرية ومزرعة كما انتسبت الى متصرفية القدس ١١ ناحية ايضا وفيها ٢٨٤ قرية ومزرعة. وهكذا فالمساحة الفلسطينية تحددت في ولاية بيروت ومتصرفية القدس. (ساطع الحصرى، كتابه المذكور اعلاه ص٢٤٤ — ٢٤٥).

كذلك يتضح من المعلومات المتوافرة ان المساحة المزروعة في فلسطين كانت واسعة، ففي متصرفية القدس وتشمل اقضية يافا وغزة والخليل بلغت الاراضي المزروعة في العام ١٨٩٥ ٢٠٢٠٠٠٠٠٠ دونم من اصل ٤٠٧٠٠٠٠٠ دونم قابلة للزراعة..

وذكر عنان العامرى الذى اورد هذه الاحصاءات ما يلي عن الوضع الزراعي في فلسطين: "اما من حيث الخصب فان سهل مرج ابن عامر ياتي في المرتبة الاولى اذ تبلغ نسبة اراضيه الزراعية ٩٣ في المئة من مجموع مساحته، يليه السهل الساحلي ٨١ في المئة فسهل عكا ٦٨٠٩ في المئة، فسهل الحولة ٦٦ في المئة وسهل الاردن ٥٢ في المئه ومنطقة بئر السبع ٤٦٠٨ في المئه واخيرا التلال المعمورة ٤٠ في المئه. وفي كل فلسطين ٢٠٠٧٥٠. (كتابه التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني ١٩٠٠ — ١٩٧٠، بحث احصائي منشورات صلاح الدين ١٩٨١ ص١٥)

الجمهورية الاولى أو ثورة الفلاحين في كسروان

شهدت اقاليم السلطنة العثمانية الى جانب الصراعات الاقطاعية انتفاضات شعبية في المدن والريف احتجاجا على الاوضاع الاقتصادية الصعبة التى عانت منها جمهرة الفلاحين والفئات الشعبية الاخرى..

وفي القرن التاسع عشر احتدمت في لبنان، نتيجة تحكم الاقطاعية الشديد بالفلاحين، المعارك الطبقية التي عرفت "بالعاميات" (٤).. ومن اهم هذه "العاميات" الثورة الشعبية ــ الفلاحين في الاساس ــ التى اندلعت في كسروان في العام ١٨٥٨، بقيادة طانيوس شاهين البيطرى الحداد.

في معرض تحليله للظروف الموضوعية والذاتية لهذة الثورة كتب فؤاد قازان: "اتجاه الحياة الفلاحيه الشاقة من جميع وجوهها الملتصقة ابدا ببنية النظام الاقطاعي وتجاه العمل المضني في الانتاج الزراعي في ظروف الجبل ولا سيما زراعة التوت لتغذية دود الحرير لمصلحة الاسياد وبناء على تفاقم ازمة الحرير.. وخيانة الاقطاعية وصيرورة بلادنا مصدرا للمواد الخام لمصلحة الاقتصاد الكولونيالي، انفجرت الازمة الاقتصادية لدرجة شعر فيها الفلاحون أن من الصعب التعايش مع اقطاعييهم على اسس التقليدية في

الانتاج وعلاقاتهم كطبقة اجتماعية مستغله بطبقة نبلاء الارض من امراء ومشايخ ومقا طعجية " (المقاطعجية هم جباة الضرائب)

واضاف ان الفلاحين بلوروا مطالبهم واهمها توزيع الضرائب على الاهالي بحيث يرفع المشايخ ما يصيبهم ... رفع التعديات والمظالم والزوايد من تساخير وخدم وحولات توءخذ من الاهالي بواسطة المشايخ وهي تتناقض مع الترتيبات (التنظيمات) الخيرية (اى الخطوط الهمايونية التي اشرنا اليها في الفصل السابق أ. ت) .. وزادوا عليها فيما بعد مطلبهم: "تشريع زراعي يحقق لهم ما حققت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ لفلاحيها (كتابه الثورة الفلاحيه الشعبية في لبنان ـ منشورات صلاح الدين القدس ص ٦٦ ـ ٦٨)

ورفض الاقطاعيون ـ وفي مقدمتهم آل الخازن ـ هذه المطالب فاشتعلت الثورة ونجحت في طرد الاقطاعيين ومصادر ممتلكاتهم "بقوة الجمهور وبقوة الحكومة الجمهورية" (المصدر ذاته ص ٩٧) ..

امتدت الثورة فسيطرت على الاقليم "الماروني" من جبل لبنان "وظهرت في الاوساط الدرزية بعض الدلائل على ان نفوس فريق من الفلاحين باتت متفتحة لفكرة التحرر من الاقطاع وان ثورة كسروان او شكت ان تمتد الى الشرق" (المصدر ذاته ١٠٣).

وتجمعت مختلف العوامل لمنع الوحدة بين الفلاحين الموارنة والدروز للقضاء على الاقطاع . فالدول الكولونيالية بريطانيا وفرنسا .. والسلطة العثمانية والاقطاعيون الدروز والموارنة والاكليروس الماروني ورجال الدين تآمرت على هذه الثورة الفلاحيه البطولية واجهضتها كما انها حققت ذلك بتفجير احتراب طائفي سرى الى خارج جبل لبنان، منطقة الثورة، الى دمشق وغيرها .. وعرف بمذابح الستين المؤلمة التى اودت بحياة الكثيرين وادت الى دمار عدد من القرى والمزارع ..

ومن المهم جدا ان البحاثين المعاصرين ادركوا ان هذه المذابح الطائفية لم تكن مجرد صراعات طائفية ... بل كانت اداة لضرب الصراع الاجتماعي .

وكتب على سبيل المثال د. عبد الكريم رافق في هذا الصدد: "اثار نجاح الفلاحين فى كسروان امال الفلاحين في المناطق الدرزية في الجنوب . ولكن الفلاحين كانوا بكثرتهم من الدروز فترددوا في الثورة في حين ان الفلاحين الموارنه في الجنوب ثاروا للتحرر من زعمائهم الاقطاعيين الذين صدف انهم دروز وهكذا تمزق النضال الفلاحي في الجنوب وادى الى حرب طائفي نتيجة لدعم الفلاحين الدروز للاقطاعيين الدروز ضد الفلاحين الموارنه الثائرين . ومما تجدر ملاحظته ان الزعماء الاقطاعيين في الجنوب استغلوا الخلافات المذهبية واثاروا الطائفية في محاولة منهم لتدعيم مركزهم الاقطاعي وزعامتهم الفرديه (كتابه العرب والعثمانيين ١٥١٦ ـ ١٩١٦ ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣)

ويذكر فؤاد تازان، اعتمادا على مصادر لبنانية واجنبية ان رجال الدين (الاكليروس الماروني استغلوا ضد الدروز العواطف الدينية لدى الفلاحين (كتابة المذكور ص ١٠٩) ولذلك تحملوا قسطا واضحا في تفجير الاحتراب الطائفي .

ويكاد يجمع المؤرخون على ان الدول الامبريالية وزعت الطوائف العربية في سوريا الطبيعية (وتشمل لبنان وفلسطين) : فايد الامبرياليون البريطانيون الاقطاعيين الدروز وتعاملوا معهم وتظاهروا بالحرص على مصالح الطائفة عامه .. وايد زملاؤهم ومنافسوهم الفرنسيون الرجعية المارونية وكذلك تظاهروا بالحرص على مصالح طائفتها ومثل اولئك وهؤلاء ايدت روسيا القيصرية المتنفذين من الروم الارثوذكس ..

وفي هذا الموضوع اورد محمد كرد على في كتابه خطط الشام ما قاله زعيم الحركة الدستورية في السلطنه العثمانية مدحت باشا وجاء فيه: "والذى زاد الطين بلة ان فرنسا تحمى الموارنه الكاثوليك وانكلترا تتشيع للدروز وكل هذا فى السياسات التى تريد بها هاتان الدولتان توسيع نفوذهما في سورية او مضاربة احداهما الاخرى" .

ومن الممكن ان ترجح ان ما ذهب اليه بعض البحاثه من ان السلطنة العثمانية التى شجعت هذا الاحتراب الطائفي ارادت ان تنزل ضربة قاضية بالاقطاعيين، لا كرها بالاقطاع الاقتصادى بل رغبة في السيطرة على هذه المنطقة في ممتلكاتها التى ترسخ فيها الاقطاع وناوىء السلطة المركزية المرة تلو المرة . ويسجل التاريخ ان السلطنة في فترات متقاربة بعد انتهاء حملة ابراهيم باشا المصرية حضت الدروز على قتل المسيحيين كما انها عند اندلاع الثوره فى كسروان شجعتهم في البداية لتفجير الاحتراب الطائفي .

والواقع انه بانتهاء هذه المذابح الطائفية او هذا الاحتراب الطائفي الدامى المدمر ضعف الاقطاعيون . وتقلص ماكان جبل لبنان يتمتع به من استقلال ..

ولم يكن غريبا او مصادفة ان تتدخل الدول الامبريالية في السلطنة بذريعة انهاء "نزيف الدماء" بل ان فرنسا بتنسيق مع بريطانيا انزلت قواتها وبلغ عدد جنودها ٦٠٠٠ الى الساحل اللبناني في حزيران فى العام ١٨٦٠ وسحبت تلك القوات بعد حوالى السنة بضغط السلطنه وبريطانيا وغيرهما .

وادت هذه الاحداث وتدخل الدول الكولونيالية الامبريالية الى اعلان لبنان متصرفية يتولاها متصرف عثماني على ان يكون مسيحيا من غير اللبنانيين وتعينه الحكومة العثمانية بموافقة الدول الاوروبية ويساعده مجلس يمثل جمع الطوائف .. كذلك نص النظام الذى اقر هذا الترتيب في العام ١٨٦٤ على الغاء الامتيازات الاقطاعية ومساواة السكان امام القانون .. (٥) .

وعلى الرغم من ان الاحتراب الطائفي امتد من جبل لبنان الى دمشق وغيرها الا انه لم يمس العلاقات بين الطوائف العربية في فلسطين التى لم تشهد اى اصطدام طائفي بل كانت ملجا لابناء مختلف الطوائف المتحاربه فقد هاجر اليها بعض المسيحيين من حوران كما لجا عدد

((البقية على صفحة ٤٥))

الحلقة الاولى

العرب في عينة من أدب الاطفال الصهيوني

بقلم:
انطوان شلحت

"غرباء.. متوحشون.. مرتزقة.. حمقى.. ترتوا كل حياتهم على تقديس القوة والمال.. مجرمون ولا يعرفون لغة واحدة هي القوة".





عنوان وخبر في صحيفة "يديعوت احرونوت"
الاربعاء ١٦ ايلول ١٩٨١ صفحة ٥

العنوان: لبيد ــ لن نعرض جنود جيش الدفاع الاسرائيلي في التلفزيون كجلاوزة نازيين ــ الغى تقريرا معدا للبث حول "جيش الدفاع الاسرائيلي في مرآة المسرح" يستعرض مسرحيات يظهر فيها جنود اسرائيليون وهم يعتدون على عرب وينكلون باصدقائهم.

مما جاء في نص الخبر: "الغى مدير عام مصلحة الاذاعة يوسف لبيد تقريرا تلفزيونيا كان معدا للبث في اطار البرنامج الاسبوعي "الاسبوع ــ مفكرة أحداث" موضوعه "جيش الدفاع الاسرائيلي في مرآة المسرح" حول ثلاث مسرحيات تعرض حاليا على خشبات المسرح وهي "انهاك" (المسرح البلدي في حيفا) و"قسم ٣ صف ١" (فريق المسرح) و "الجنود خارجون الى الطريق" (مسرح الاقنعة) قال لبيد ــ لن نسمح بان يبث التلفزيون الاسرائيلي تقريرا عن عروض مسرحية تشمل مقاطع يتصرف بها الجنود الاسرائيليون مثل النازيين". واضاف "ان النقاش هنا هو ليس حول المستوى الفني او حرية التعبير وانما حول السؤال فيما اذا كان يجوز ان نعرض في تلفزيون دولة اسرائيل جنود جيش الدفاع الاسرائيلي كجلاوزة نازيين" وقصد لبيد باقواله هذه تلك المقاطع التي يظهر فيها جنود اسرائيليون يعتدون بالضرب على جمهرة من العرب ويتعرض جندى لفتاة عربية وينكل جنود آخرون باخوة لهم في السلاح"

استوقفني هذا الخبر (الذى يبدو عاديا جدا في اسرائيل) بشكل خاص وانا في غمرة التحضير لهذه المتابعة حول سلسلة حكايات الاطفال الصهيونية لافنير كرميلي الصادرة على حلقات عن دار النشر "مزراحي" في تل ابيب والتي تنضح بالتوجه القومي ــ الشوفيني المعادى للعرب. ذلك انه (اى الخبر) يظهر مجددا زيف "الدمقراطية" الاسرائيلية التي يصر البعض على التبجح بها ويفضح، مجددا ايضا، انتقائيتها التي لا مجال فيها لكل ما يمت بصلة للعروبة.

اية "دمقراطية" هذه التي تضيق بتقرير تلفزيوني يصور جزءا من ممارسات جنود الاحتلال؟؟ في الوقت الذى تتسع فيه لهذا "الادب المتوحش" الموجه للاطفال اليهود؟؟

ويبقي السؤال، الذى يبدو طرحه ضربا من السذاجة لكنه يلح في اكثر من مناسبة، ماذا فعل لبيد (وصي "السلطة الدمقراطية" على الاذاعة والتلفزيون) للذى حاول ان يعرض جزءا في ممارسات احتلالية اصبحت معروفة على نطاق العالم كله؟؟ ونضيف ان بثها لم يكن ليزيد او ينقص في حجم الاستنكار الدولي لها لكنه يفتح اعين المزيد من ابناء الشعب الاسرائيلي على واقع "مقبرة القيم الانسانية والاخلاقية" من مخلفات الاحتلال؟

ما الذى لم تفعله "الدمقراطية الاسرائيلية" للذى اوقف قلمه على تزييف تاريخ البلاد وتاريخ انسانها العربي في اطار الكتابة للاطفال وبلغت به الوحشية، احيانا كثيرة درجة تجريد العربي من انسانيته

هل الفعل الاول وعدم الفعل الثاني هما مجرد مفارقة؟؟

كلا..

وكلا هذه لعدة اسباب مصدرها في الفكر الصهيوني، ديدن حكام هذه البلاد، ومنها:

اولا: ان العربي، في الفكرة الصهيونية، يمكن ان يكون كل شيء سوى نفسه. فهو "اعرب" "ومتوحش" و "جلاووز" الى آخر ذلك.

ثانيا: وعطفا على السبب الاول ان اليهودى حائز على "الحق الالهي" الذى تقوم عليه الصهيونية. هذا

"الحق" يجيز له ان يتصرف مثلما يحلوله. حتى لو تصرف مثيل الجلاوزه النازيين فان هذا "الحق" يشفع له. ان الاعتراض على مثل هذا التصرف هو بمثابة اعتراض على هذا الحق الالهي.

ثالثا: ان الفكرة الاساسية التي تسعى الصهيونية الى ترسيخها في ذهن الاسرائيليين هي ان وجود هم على هذه الارض يتناقض اساسا مع وجود العربي عليها.

الاهتمام باستكشاف جذور الفكر الصهيوني

لقد كان من بين التحولات التي طرات على الادباء العرب بتاثير نكسة حزيران ١٩٦٧ ذلك الاهتمام الواضح باستكشاف جذور الفكر الصهيوني واذرعته. وانعكس هذا التحول والاهتمام في ظهور عدد من المؤلفات في العالم العربي تتناول الادب الصهيوني تبرز من بينها دراسة الاديب الفلسطيني الشهيد غسان كنفاني حول "البطل العربي في الرواية الصهيونية" التي تضمنها كتابه "ادب المقاومة في فلسطين المحتلة". ولعل من آخر النماذج على ذلك هو المقال الذى نشره فوزى الاسمر في مجلة "الكرمل" الفلسطينية (العدد الاول ـ شتاء ١٩٨١) حول "البدو في ادب الاطفال الاسرائيلي".

ولقد راى شاعرنا سميح القاسم، في معرض تعليقه على هذا التحول ("الجديد" ـ عدد ١١ و ١٢ ـ ١٩٧٢)، ان الاعمال التي ظهرت في حينه اعتورها نقص واضح رده الى العوامل التالية:

١ ـ عدم معرفة الاغلبية العظمى من الباحثين العرب للغة العبرية،

٢ ـ استخلاص النتائج من خلال بعض الاعمال الادبية العبرية المترجمة الى الانجليزية او اية لغة اخرى. وهذه الترجمة اقتصرت على بعض الاعمال الحديثة التي لا تعطي صورة كاملة عن الادب الاسرائيلي او الادب الصهيوني،

٣ ـ الاستشهاد ببعض الاعمال التي كتبها صهيونيون غير اسرائيليين مثل ليون يوريس في كتابه "اكسودس". وهذه الاعمال لا يمكنها ان تعطي فكرة شاملة عن الادب الصهيوني، لا سيما ما كتب منه في فلسطين وما يكتب الان في اسرائيل.

واعتقد ان بعض هذه العوامل ينطبق على الدراسة الموجزة التي نشرها فوزى الاسمر في "الكرمل" وفي مقدمتها اعتماد الباحث على نماذج مترجمة الى الانجليزية او مكتوبة اصلا بالانجليزية (اغفلت الاشارة الى ذلك)

مهما يكن فان مجال الغوص في دراسة هذا الموضوع ما زال مفتوحا على مصراعيه ومهمة ذلك ملقاة على عاتق دراسينا ومثقفينا.

بحارة كرميلي

اذا لم يسمع قارئنا المحلي بأفنير كرميلي هذا فان الناشر يعرفه على انه "كبير الادباء الاسرائيليين المتخصصين بالكتابة للاطفال والشبيبة". تتمحور قصصه كافة (قرانا عينات من حلقاتها المتسلسلة) حول موضوع "الصراع بين اليهود والعرب" على حد تعبيره.

سنتعرض في هذا الجزء من المتابعة الى بعض سلسلة قصصه حول "فرقة البحارة" التي ترصد "لمغامرات افراد الفرق السرية العبرية من اجل اقامة اسرائيل وعملياتهم الماحقة ضد العرب" (تذييل كل كتاب). وتسرد كل قصة عملية "بطولية" تقوم بها هذه المنظمة يرى الكاتب انها تجلب الفخار للنشء الاسرائيلي الجديد وتبرز امامهم الخلفية التي مهدت لقيام دولة اسرائيل.

زعم ـ تناقض

كانت الصهيونية تهدف الى الاثبات، خلال عملية تشويه مفضوحة، بأن فلسطين لم تكن سوى أرض خالية من من السكان عبارة عن "بلاد قاحلة تملؤها الحشرات والمستنقعات". كتب موشيه سميلانسكي في صحيفة "العالم" (٢٩ ـ ١ ـ ١٩١٤) يقول "وصفت دعاية الفكرة الصهيونية منذ نشاتها البلاد التي ستتوجه اليها كبلاد خربة ومهجورة التي تنتظر الخلاص بفارغ الصبر" ـ وفي محاولتها لاثبات هذا الهدف لم تستطع الصهيونية ان تنفي كلية حقيقة وجود شعب عربي فلسطيني يقيم فوق هذه الارض. واوقعها هذا في تناقض حاولت تجاوزه في خلال تركيز نصوصها على الحديث عن شخصية العربي او البدوي، لا العربي الفلسطيني، مع التاكيد على افتقار الروابط بين هذا العربي او البدوي وبين أرضه.

وبما ان الارض في مثل هذه الحالة هي الوطن وبما ان العربي يفتقر الى الروابط القوية بالارض لهذا فانه يفتقر الى الروابط القوية بالوطن فهو اليوم مقيم في فلسطين ويمكن ان يقيم غدا في الاردن او في سورية او في هونولولو.

انطلاقا من هذه الفرية يبرز كرميلي في قصة (البحارة في عملية الانقضاض) أن المهمة المثلى التي يتطلع الى تحقيقها أفراد الكيبوتس هي "تخليص البلاد من ايدى الغرباء واعادتها الى الشعب العبرى" (ص٦٥). ويأخذ "البحارة"، الذين ينتصر لهم كرميلي، على افراد الكيبوتس تفكيرهم بأن مهمة طرد الغرباء لا يجرى تحقيقها "بقوة السيف وانما بقوة المحراث" (ص٦٥) فالعرب لا يفهمون سوى لغة القوة. الم يكتب يعقوب روني، في مقالة عن العلاقات بين سكان رحوبوت وجيرانهم العرب في السنوات بين ١٨٩٠ ـ ١٩١٤، يقول "منذ اوائل ايام الاستيطان ساد الراى القائل بان العربي يحترم ويعرف لغة واحدة هي القوة" ؟؟

يجهد كرميلي كذلك في شرح طابع الصهيونية الحضارى ورسالتها المدنية الى "ارض اسرائيل". فان العرب في قصصه هم ليسوا "غرباء" فقط عن الارض وانما "غرباء" أيضا عن الحضارة والتطور. وتراه يعكس بلغة موجهة لوعي الطفل ما روج له دعاة الصهيونية الاوائل في هذا الصدد.

متابعة

لقد عبر ثيودور هرتسل، حين صاغ مشروعه الصهيوني في كتابه "دولة اليهود"، عن هذا التوجه حين كتب في مقطع "فلسطين ام الارجنتين"، مفضلا فلسطين لتنفيذ مشروعه على الارجنتين، ما يلي "بالنسبة لاوروبا فاننا سنكون لهم هناك (في فلسطين ــ ا. ش) بمثابة جزء من السور الدفاعي امام آسيا. ويكون بمستطاعتنا ان نزودها بالقوات الامامية الحضارية ضد البربرية".

كما وجدنا الدليل على هذه الفكرة في السؤال الاول من مجموع اسئلة امتحان الاعانة لطلاب صفوف الثوامن (كانون الاول ١٩٧١) حيث جاء فيه ما يلي "لم يتوقف استيطان اليهود لفلسطين ابدا. وبغض النظر عن عدد اليهود الاجمالي في البلاد كان الكثيرون منهم مفكرين وحكماء ومبدعين نشروا ابحاثا وكتبا وبالمقارنة معهم فان العرب والمسيحيين الذين استقروا في هذا المكان (بما معناه انهم ليسوا ابناء هذا الوطن بل بمثابة مستقرين ــ ا.ش) لم ينتجوا في فلسطين اي شيء له اهمية بالرغم من قدسية البلاد لاديانهم".

ان افراد الكيبوتس، في القصة المذكورة آنفا "كانت غايتهم جلب البركة والتطور ليس لليهود فحسب وانما ايضا للفلاحين العرب الحمقى المستغلين (بالفتح) استغلالا بشعا من قبل اسيادهم الافندية" (ص٦٥).

يقابل هذه الرسالة "الحضارية السلمية للكيبوتس" وحشية ما بعدها وحشية للعصابات العربية. ففي كل القصص التي قرأناها لم نجد البطل العربي الا "فردا في عصابة" او "متعطشا للدم اليهودي". على وجه العموم يعبأ الطفل اليهودي، القارئ لهذه القصص، بالاحساس الواعي ان العربي يمكن ان يكون كل شيء سوى نفسه سوى الانسان المركب بكل ما فيه من خير وشر، سوى الانسان العادي.

وبنمودجية بالغة يتفنن المؤلف، في مقاطع متباينة من القصة، في وصف التفاوت بين وحشية العربي وحضارة اليهودي ــ قرية العربي وكيبوتس اليهودي. لنقرا هذا المقطع: "لم يكن في كل البلاد كيبوتس سعى رجاله للحياة بسلام مع جيرانهم العرب ومساعدتهم مثل كيبوتس بيت غيبع. وعلى الرغم من ان العصابات العربية قامت اكثر من مرة بشن غزوات على هذا الكيبوتس وكثيرا ما قام الفلاحون العرب، بتحريض من زعمائهم الافندية، بمهاجمة رجال الكيبوتس وهم يحرثون حقوله، لم يتخل الكيبوتس عن طريقه السلمي. لقد تسامح دوما مع مهاجميه وتطلع الى ان يعقد معهم حلفا ابديا. ولهذا اختارت السلطات البريطانية والزعماء العرب هدفا اول لهجوم العصابات العربية كيبوتس بيت غيبع الذي كان لقمة سائغة في نظرهم (ص٦٥ ــ٦٦)".

ولا يعدو العرب في هذه القصة اكثر من كونهم فريقا من المرتزقة تكفي شارة ضابط بريطاني لتستفز مشاعرهم المتعطشة للدم اليهودي: "باثارة حماسهم نفخ الضابط البريطاني فيهم روح القتال والرغبة في الخروج فورا لتنفيذ العملية ضد الكيبوتس. وبسرعة فائقة استنفر المقاتلون العرب من اماكن نومهم في القرية حيث جرى توزيعهم على خمس فرق. الفرقة الاولى، تعدادها مئة شخص، انيطت بها مهمة التسلل خلسة الى البوابة واقتحام الكيبوتس. الفرق الثانية والثالثة والرابعة، تعداد كل واحدة منها ثلاثين شخصا، انيطت بها مهمة محاصرة الكيبوتس ومنع هروب الاشخاص من داخله كي يقتلوا كل اهاليه ــ رجالا ونساء واطفالا. الفرقة الخامسة، تعدادها عشرة اشخاص، انيطت بها مهمة قطع الاتصال الهاتفي عن الكيبوتس قبل الهجوم وبعد ذلك سد الطريق التي تصل ما بين الكيبوتس والخضيرة لئلا تصل من هناك مساعدة لليهود" (ص١٠٠ــ ١٠١).

"اذبحوا اليهود"

ينتقل كرميلي من وصف التحضير للهجوم الى وصف الهجوم العربي. ويعنون الفصل الخاص بذلك تحت العنوان "اذبحوا اليهود". ويكتب "بهتافات" عليهم" و"اذبحوا اليهود" (كتبها باللهجة العربية واحرف عبرية وكتب معناها بالعبرية بين قوسين ــ ا. ش) انقض العرب من كل حدب وصوب على السياج" (ص١٠١ ــ١٠٢).

ينتهي "الهجوم العربي" الى الفشل. لكن المؤلف يعود ليؤكد لقرائه الاطفال انه "لا حدود لنهم العرب خصوصا اذا كانت الفريسة يهودية".

وعلى امتداد فصل كامل عنوانه "التحضير لهجوم جديد" يشهر كرميلي قلمه ليزرع في نفوس اطفاله من القراء الكراهية لهؤلاء العرب "اللصوص القذرين".

وحشية ووحشية

جاء في هذا الفصل: "في الليلة نفسها استعد العرب في قرية الحمدية والقرى الاخرى المجاورة لكيبوتس بيت غيبع من اجل التحضير لشن هجوم اضافي على الكيبوتس. ومع ان الهزيمة التي منوا بها في الليلة السابقة بلبلتهم في البداية لكن مشهد الاعتقالات وحظر السلاح الذي نفذه البريطانيون في الكيبوتس رفع معنوياتهم من جديد. فليس باستطاعة الكيبوتس الان ان يدافع عن نفسه بعد ان قل عدد مقاتليه. جمع الحاج ابراهيم والشيخ عبد الله الكونتاوي، قائدا العصابات العربية، مساعديهما في مجلس حربي عقد في مقهى القرية. وحضر المجلس الشيخ مختار قرية سوميل. وخرج مبعوثون الى القرى المجاورة لنقل البشرى اليهابان الكيبوتس اضحى عمليا لقمة سائغة بسبب تجريده من السلاح واعتقال معظم مقاتليه. ولهذا فان من واجب كل فتى عربي متعقل ان يتسلح ببندقيته وينضم الى المهاجمين الشجعان. في كل لحظة تقريبا وصل الى مقهى قرية الاحمدية نخبة من شبان القرى العربية القريبة والبعيدة واعربوا عن رغبتهم في الانضمام

البقية على صفحة ٤٩

شعر للثورة والحرية

لبول ايلوار

★ بول ايلوار (١٨٩٥ — ١٩٥٢) : شاعر فرنسا الكبير . ولد في سان دنيس الضاحية العمالية لباريس . كان من ابرز شعراء الحركة السوريالية . صدر له خلال فترته هذه « عاصمة الالم » (١٩٢٦) . ثم تحول الى الماركسية . لعب دورا بارزا في المقاومة الشعبية الفرنسية ضد الاحتلال النازي (ومن ابرز اعماله خلالها قصيدة « حرية ») . انضم الى الحزب الشيوعي الفرنسي العام ١٩٤٢ ، تاريخ صدور ديوانه « الشعر والحقيقة » . كان صديقا حميما لبابلو بيكاسو والعديد من ادباء وفناني فرنسا والعالم .

العدالة الصادقة

انه قانون البشر الحارق :
من العنب يصنعون النبيذ
من الفحم يصنعون النار
من القبلات يصنعون البشر .

★

انه قانون البشر الصارم :
يتماسكون رغم
الحروب والبؤس
رغم اخطار الموت .

★

انه قانون البشر الرقيق :
يحيلون الماء نورا
والحلم حقيقة
والاعداء اخوة .

★

قانون قديم وجديد
يتطور ابدا نحو الكمال
من اعماق قلب طفل
الى العقل الاسمى .
(القدرة على البوح بكل شيء ١٩٥١)

الليلة الاخيــرة

— ١ —

هذا العالم الصغير المجرم
مسلط على البريء :
ينتزع اللقمة من فمه
ويرمي بيته الى النار
يسلبه معطفه وحذاءه
يسلبه وقته واطفاله .

★

هذا العالم الصغير المجرم
يخلط الموتى بالاحياء
يبيض الوحل ويبرىء الخونة
ويحول الكلمة الى ضجيج .

★

شكرا ، منتصف الليل ، اثنا عشرة بندقية
تعيد السلم للابرياء
ويبقى على الجموع ان تدفن
لحمه الدامي وسماءه السوداء .



يبقى على الجموع ان تدرك
مدى هشاشة المجرمين .

— ٢ —

الروعة هي دفعة صغيرة للجدار
الروعة هي القدرة على نفض كل هذا الغبار
هي القدرة على ان نتحد .

— ٣ —

جرموا له يديه وقصموا ظهره
وحفروا ثقبا في راسه
وقبل ان يموت كان عليه ان يتعذب
مدى الحيــاة .

— ٤ —

ايها الجمال المخلوق للسعداء
ايها الجمال ، ان خطرا عظيما يتهددك
هذه الايدي المعقودة حول ركبتيك
هي ادوات مجرم
هذا الفم الذي يغني عاليا
قصة شحاذ
وهذا الاناء من الحليب الصافي
سيتحيل نهدا لمومس

— ٥ —

كان الفقراء يلتقطون خبزهم في المجارير
نظرهم يغشى النور
والليل لم يعد يخيفهم .
ضعفاء الى ما لا نهاية ، يبتسمون لضعفهم .
في قعر ظلهم يحملون اجسامهم
لا يرون بعضهم بعضا الا من خلال تعاستهم
ولا يلهجون الا بلغة حبيسة .
وكنت اسمع من يتحدث برفق وحذر
عن امل قديم مثل بد .

★

كنت اسمع من يحسب
الاحجام المضاعفة لورقة الخريف
انكسار الموجة في صدر البحر الهادىء
والاحجام المضاعفة للقوة الاتية .

— ٦ —

ولدت خلف واجهة فظيعة البشاعة
اكلت ، ضحكت ، حلمت ، وخجلت
وعشت كالطفل .
ومع ذلك ، عرفت كيف اغني للشمس
الشمس كلها ، التي تتنفس
في كل صدر ، وفي عيون الجميع :
قطرة الطهارة التي تلمع بعد الدموع .

— ٧ —

اننا نرمي حطب الظلمات للنار
اننا نحطم اقفال الظلم الصدئة
سيولد رجال لا يخافون من انفسهم
لانهم يثقون بجميع الناس
لان العدو الذي له وجه انسان سيزول .
(الشعر والحقيقة ١٩٤٢)

نقد الشعر

ليكن معلوما : اني اكره سلطة البرجوازيين ،
سلطة الجندرمة والكهنة .
لكني اشد ما اكرهه الانسان الذي لا يكرهها
مثلي
بكل قواه .

★

ابصق في وجه الانسان الاصغر من الطبيعة
الذي لا يفضل « نقد الشعر » هذا على
سائر اشعاري .
(الحياة المباشرة ١٩٣٢)

بالبريد الجوي

احداث * نشاطات * منشورات * من كافة ارجاء العالم .. تصل الينا اخبارها عبر الجو .. وفيها ما يشبه الاشتباه ...

عائد الى حيفا



قاسم حول يشرح لقطة لابطال الفيلم بول مطر وحنان الحاج

أول فيلم روائي فلسطيني

[illegible]



في طرابلس اكمل المخرج قاسم حول تصوير الفيلم الفلسطيني الطويل "عائد الى حيفا"، رواية الكاتب الشهيد غسان كنفاني، وهو اول فيلم روائي فلسطيني يعتبره النقاد فاتحة عهد السينما الفلسطينية التي من شأنها ان تملأ الفراغ في السينما العربية عامة وتنهي موسم الافلام المصرية والبترولية بمضمونها التقدمي والثوري واعتماد الطاقة الابداعية والتجربة الحية التي يمتلكها ليس فنانو هذه السينما وحسب وانما الشعب الفلسطيني باسره والذى شارك مشردوه في المخيمات، مشاركة فعلية في اعداد الفيلم حيث تم تصويره في طرابلس وقرى ومخيمات : اهدن وزغرتا والبداوي ونهر البارد وغيرها. واكثر الممثلين هم فلسطينيون يظهرون لاول مرة، كذلك شاركت فيه الممثلة الالمانية كرستينا شوزن واعدت الماكياج ستيلا خليل وهي فتاة سوفييتية .

انتجت الفيلم مؤسسة الارض للانتاج السينمائي، بيروت، واستمرت مدة التحضير سبعة اشهر وتم تصويره خلال خمسين يوما . وقام بالادوار الرئيسية حنان الحاج علي وبول مطر وسليم موسى وحسين لوباني ومنذر حلمي اضافة الى ١٥٠ ممثل كومبارس كلهم متطوعون من المخيمات . ومن المتوقع أن يعرض في الاسابيع القليلة القادمة .

والمخرج قاسم حول هو احد الفنانين البارزين في هذا المضمار، ويعمل في الاخراج السينمائي منذ عام ١٩٧٠ حيث أخرج فيلم "اليد". وله افلام اخرى وثائقية وروائية طويلة مثل نهر البارد (١٩٧١) ولماذا نزرع الورد لماذا نحمل السلاح؟ (١٩٧٢) . حاز على جائزة اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي . و"الكلمة والبندقية" عن حياة غسان كنفاني وبيوتنا الصغيرة، حاز على جائزة لايبزغ الفضية . وآخر افلامه هو فيلم وثائقي قصير عن اليمن الديمقراطي اخرجه عام ١٩٨٠ .

" فلسطين الثورة " تعيد نشر دراسة الدكتور توما عن "الجديد"



" "فلسطين في العهد العثماني"، سلسلة الدراسات التي يكتبها الدكتور اميل توما والتي تنشر في "الجديد" من العدد ١٢/١٩٨٠، تقوم مجلة فلسطين الثورة الاسبوعية بنشرها كاملة، مع مقدمة تؤكد على أهمية الاطلاع على تاريخ الوطن الفلسطيني خاصة في العهد العثماني الذى أثر بشدة على الواقع الفلسطيني الحالي .

وجاء في تقديم الحلقة الرابعة من الدراسات : " تتابع ، فلسطين الثورة، نشر دراسات الرفيق الدكتور اميل توما عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي "ركاح" لما تمتاز به من تحليل تقدمي وموضوعي . وهذه الحلقة منقولة عن الزميلة "الجديد" وهي المجلة الثقافية التي يصدرها في حيفا، الحزب الشيوعي "ركاح" .

ومن المتوقع أن تصدر الدراسات في بيروت، كذلك ستصدر هنا عن "منشورات الجديد" حين تكتمل بعد حلقتين .

و"الجديد" تلفت نظر طلابنا الثانويين الى ان هذا الموضوع مقرر في منهاج المدارس الثانوية ويمكن الاستفادة من الدراسات كمادة مساعدة لهم، طبعا في اجتياز الامتحانات والاهم من ذلك في فهم حقيقة ما حدث في هذه الفترة التاريخية الهامة .

الكاتبة اكرام انطاكي:

مشكلة كاتباتنا هي مشكلة ٤ ملايين لا يملكون الهوية والوطن

اجرت مجلة فلسطين الثورة حديثا مع الكاتبة العربية اكرام انطاكي المقيمة في المكسيك والتي كانت مثلت فلسطين في المؤتمر الرابع لكاتبات امريكا اللاتينية الذى عقد في المكسيك في شهر حزيران الماضي وفيه القت الكلمة الرئيسية اذ قالت: "ان مشكلة الكاتبات الفلسطينيات هي مشكلة شعب، اربعة ملايين لا يملكون الهوية والوطن".

واكرام انطاكي هي شاعرة وكاتبة وتقدم برنامجين في التلفزيون المكسيكي ولها مساهمات عديدة في مجال الصحافة حيث تكتب اسبوعيا في جريدة - الديا - ولها صفحةاسبوعية في جريدة "الاونوماس اونو". وقد ترجمت قصائد لشعراء فلسطين ستصدر قريبا بالاسبانية في المكسيك كما اصدرت كتيبا بعنوان "لقاء مع ياسر عرفات".

تقول الكاتبة اكرام، ان كاتبة فرنسية صهيونية اعترضت على كلمتها قائلة: نحن هنا ليس من اجل التحدث عن السياسة بل للتحدث عن الجسد فارجو الا تحاول استغلال المؤتمر لقضايانا السياسية الخاصة. فردت عليها قائلة:

"انا لا اعارض ان يكون موضوع الجلسة هو الحوار عن الجسد ولكن اسمحوا لي ان اتحدث عن جميع الاجساد المعتدى عليها، الاجساد المقتولة، الاجساد التي تتعرض الى التشويه والسجن والعذاب القاسي".

وتضيف الكاتبة اكرام انها لاحظت ان الوفد النيكاراغوى كان نشيطا جدا وكان المساعد الاول للوفد الفلسطيني في مواقفه الادبية والسياسية، هذا من ناحية ومن ناحية اخرى تلقت اربع مكالمات هاتفية تتضمن تهديدات بقتلها هي وطفلها ان بقيت على هذا الخط وذلك في فترة ايام انعقاد المؤتمر.

(فلسطين الثورة، ٨١/٨/٣١)



فولكلور فلسطيني في سان باولو



سبعة من كل عشرة من البرازيليين المتتبعين لصراع الشرق الاوسط يؤيدون نضال الشعب العربي الفلسطيني، بقيادة منظمة التحرير، من اجل اقامة دولته المستقلة. وفي سان باولو، شاهد البرازيليون جزءا من ثقافة الشعب الفلسطيني وتراثه تحت يافطة عريضة تقول "عاشت فلسطين"، والى جانب الرقص الشعبي والموسيقى التقليدية والاناشيد، قدمت ايضا لوحات مسرحية تمثل نضال الشعب الفلسطيني في سبيل الاستقلال الوطني.



٥٠ عامًا على المسرح الغجري في موسكو
أول مسرح من نوعه في العالم

يحتفل مسرح "رومين" اي المسرح الغجري، بذكرى ميلاده الخمسين .وهو واحد من المسارح الاربعين العاملة في موسكو. يقول نيقولاي سليتشينكو، كبير مخرجي المسرح ان "رومين" هو المسرح الغجري المحترف الاول والوحيد حتى الان في العالم كله.

وكانت مجلة "الطريق الجديد" الغجرية هي التي طرحت العام ١٩٢٠ فكرة انشاء مسرح غجري.

وبمبادرة اناتولي لوناتشارسكي، وزير الثقافة آنذاك، اتخذ في موسكو قرار بتاسيس مسرح – ستوديو غجري. وقد فوجيء منظموه حينما راوا ذلك العدد الكبير من الشبان والشابات الغجر الذين وصلوا الى موسكو لتقديم امتحانات القبول وكانت اغلبيتهم من الغجر الرحل واختارت لجنة الاختبار اكثر من عشرين شابا وشابة من ذوي المواهب في الغناء والرقص.

وفي نهاية العام ١٩٣١ عرض طلبة الاستديو اول مسرحية موسيقية درامية بثلاثة فصول مقتبسة من مسرحية (الحياة المتجولة) لالكسندر غيرمانو، وتحدثت المسرحية عن تحضر الغجر.

وكان سليتشينكو نفسه ينحدر من عائلة غجرية متجولة، تحولت الى نمط الحياة الجديدة في الريف، وفي السادسة عشرة من عمره وصل سليتشينكو الى موسكو وادى بنجاح امتحانات القبول في مسرح "رومين" وطبقا للعادة فان المستجدين من الفنانين الشباب يقضون من سنة الى سنتين في ادوار جماعية واحيانا – ادوار قصيرة.

وبفضل شدة ولعه بالمسرح وطموحه الى الترقي استطاع سليتشينكو بعد مضي خمس سنوات ان يوءدي جميع الادوار الاساسية في مسرحه. وفي الوقت نفسه كان يقدم عروضا على خشبة المنوعات، ويوءدي الادوار في السينما. ومن جهة اخرى درس في دورات الاخراج الفني العليا لدى وزارة الثقافة في الاتحاد السوفياتي. وفي العام ١٩٧٧ تولى نيقولاي سليتشينكو، فنان الشعب في روسيا الاتحادية، منصب كبير المخرجين في مسرح "رومين".

ومهارته النادرة اكسبته حبا وشعبية ليس لدى الجمهور السوفياتي فقط. فقد اثار عواصف من التصفيق لدى المعجبين به في كل من باريس ووارسو وبراغ وصوفيا وبرلين وبروكسل.. حتى ان الصحافة الفرنسية اطلقت على نيقولاي سليتشينكو لقب "الغجري الاسطورة".

(عن النداء البيروتية)

وديع الصافي يغني للناصرة والجليل

عاد المطرب خليل حداد الى الناصرة وهو يحمل تحية من المطرب وديع الصافي طلب أن ينقلها الى شعب الناصرة وكل الاحباب، وكان قد سافر الى باريس حيث قام بنشاط فني الى جانب وديع الصافي وفهد بلان ونهاد طربيه وسميرة توفيق، كما استضافته اذاعة مونت كارلو واجرى معه حكمت وهبي لقاءا على الاثير واذيع عدد من اغنياته.

وخليل حداد، ابن قرية حرفيش الجليلية، ويقيم حاليا في الناصرة، هو مطرب معروف يرفض التعامل مع الاذاعة والتلفزيون الاسرائيليين ويقدم فنه للجمهور مع فرقته "اصدقاء مونتي كارلو" في المهرجانات الشعبية والاحتفالات ويهتم الان بتطوير التراث الشعبي حيث يعمل على توزيع ٢٨ اغنية فلسطينية شعبية وتسجيلها على كاسيت بالاضافة الى اربع اغنيات لحنها له وديع الصافي بينها اغنية للجليل والناصرة، كان قد غناها وديع في باريس، واغنية "لبنان الجريح" غناها خليل حداد في اذاعة مونت كارلو.

حول امكانية تطوير الاغنية المحلية يقول خليل حداد: " لا يمكن أن تكون لدينا اغنية محلية الا اذا انطلقت من تراثنا الفلسطيني. ولذلك فعلينا ان نجمع تراثنا ونسجله لاختيار الجيد منه وان تتشكل كوادر من المغنين والشعراء والموسيقيين وفرق الدبكة والغناء لاعادة صياغة هذا التراث وتطويره".

لخليل حداد ما يقوله حول "الفن المزيف" الذي تقدمه الاذاعة والتلفزيون باسم الاغنية المحلية، ويتساءل: كيف يمكن ان تكون محلية اذا كان المسوءولون عن هذه البرامج لا يعرفون تراثنا، لا بل لا يعترفون به. والمغني لا يعرف الا.ب في اصول الموسيقى والغناء؟ اليس في ذلك تزوير لثقافتنا وتراثنا ؟

و"الجديد" اذ تهنيء المطرب خليل حداد وتقدره على اهتمامه بالتراث فانها ترجو أن يواصل اهتمامه.







انا اليتيم

انا طفل الجنوب بتعرفوني   يتيم البي والام الحنوني
صرت وحدى عاكلمة آخ اسهر   نسيني الليل شارد مع ظنوني
لبست ثوب الحداد بلون احمر   صبغتو بدم اهلي الفارقوني
تايبقى ذكرهم عاكل منبر   اذ التضحيات بيطلبوني
يا الله الخالق الكون المعمّر   شو ذنبي قلهم ما يعذبوني
وشو ذنب جنوبنا من الدمع يسكر   وياخد من رصاص الحق موني
لكن بعد ما الايمان يكبر   وتكبر صورة الحلم بعيوني
رح تشوفو الطفل مغوار اجبر   ويكره بكلمتي بتذكروني
انا رصاص المنايا بليل اسمر   ومدامع في عيون الشردوني
انا حامل غصن زيتون اخضر   باسم القلها للارض كوني
واذا بستشهد بصف المعسكر   وملاك الموت بيذبل عيوني
ما بدى تودعوني بدمع احمر   وصية بعد ما ودع رفاقي
خدوني بقلب ارنوني دفنوني

(عن النداء)







"طهارة السلاح الاسرائيلي" تعني القاء القنابل على هؤلاء الاطفال في المخيمات الفلسطينية والقرى اللبنانية.. والصحف الصهيونية "الحرة" لم تنشر هذه الصور كي لا تفضح هذه الخرافة .. "بيغن مرّ من هنا"، "هذه الضحايا تريد أن تتعرف على المجرم"، "بماذا تذكركم هذه الصور ؟" "من تعلم بيغن قتل هؤلاء الاطفال ؟" .. تحت هذه العناوين والتساؤلات نشرت صحف العالم هذه الصور، يوم اغارت طائرات اسرائيل الامريكية على ابرياء لبنان في تموز الماضي.. عرّفوا الاطفال على المجرم !!

مهرجان الصحافة الشيوعية لعام ١٩٨١

مهرجانات الصحافة الشيوعية، أصبحت تقليدا، وعيدا من أعياد الوطنيين والتقدميين، عيد الشيوعيين الذين لا يوفرون أي جهد في سبيل ايصال الكلمة الحرة، كلمة الطبقة العاملة في هذه البلاد، الى أوسع فئات الشعب، كسلاح في معارك الكادحين من أجل القضاء على الاستغلال والاضطهاد، ونضالات القوى الدمقراطية من أجل المساواة والحرية والسلام.

وجماهيرنا التي تقدّر هذا العيد وتحبه فانها تعبّر عن مشاعرها ليس فقط بالمشاركة في المهرجان، وانما بما يسبقه وما يليه، فقبل يوم السبت الثالث من تشرين أول، يوم انعقاد المهرجان، عقدت عشرات الندوات واللقاءات مع محرري صحافتنا الشيوعية، برز من خلالها تمسك الجماهير وارتباطها بهذه الصحافة، ولم يخف القراء ملاحظاتهم وانتقاداتهم ورغباتهم في تحسين هذه الصحافة الامر الذي يؤكد على هذا الارتباط وهذا التمسك اذ ان المحررون ينقلون آراء القراء الى هيئاتهم لتشكل قاعدة هامة تقوم عليها الصحف وتوجهها على طريق البحث عن الافضل والانجع في شحذ هذا السلاح الفكري القاطع.

وهذه اللقاءات، بالاضافة الى كونها شكلا من أشكال الحماس والنشاط الثوريين، فانها كذلك تحمل متعة خاصة لدى المحررين اذ تمكنهم من الاطلاع على ثمار جهودهم المضنية، كذلك انها متعة لا حدود لها حين تقف في عبلين امرأة في الخمسينات من عمرها وتقول: "بدأت أقرأ الصحافة الشيوعية قبل أكثر من ثلاثين عاما، لم أكن أعرف القراءة والكتابة، ولكنني تعلمت منها.. وتخلصت من حالة الاميّة التي فرضها علي الاستعمار الاجنبي".

لقد توّج هذه اللقاءات الندوة الاحتفالية التي دعا اليها أصدقاء "الجديد"، في كفرياسيف وعقدت عشية المهرجان باشتراك عدد من المثقفين الكفارسة الذين قدموا ملاحظاتهم حول ما نشر فيها من مواضيع: القصة، الشعر، المرأة، الفن، التراث والدراسات الادبية والسياسية.

وقد أجمع المشتركون في النقاش على أن الجديد الى جانب الصحافة الشيوعية الاخرى كانت صاحبة الفضل في رفع مستوى الحركة الثقافية المحلية التي تتميّز بثوريتها ووطنيتها. (في العدد القادم ستنشر وقائع هذه الندوة كاملة).

مهرجان شعب:
===========

الاعلام والشعارات الثورية كانت تزيّن أغصان الاشجار الخضراء، الاغنيات الوطنية كانت تتردد اصداءها بين التلال الصغيرة التي يخترقها طريق وادي عارة، والجماهير تتوافد منذ ساعات الصباح وتأخذ أماكنها تحت الشجر وعلى المدرّج، في انتظار الاعلان عن افتتاح المهرجان الساعة العاشرة صباحا. ولما أعلن العريف الرفيق جورج طوبي عن الافتتاح كان اكثر من سبعة آلاف مواطن يصغون باجلال واحترام لما قدمه ممثلو الصحافة الشيوعية والسكرتير العام للحزب الشيوعي الرفيق ماير فلنر الذي حيى هذه الصحافة بحرارة، وكانت كلمته شاملة لخصت الموقف الذي يدافع عنه الشيوعيون وصحافتهم، وحددت الاهداف التي يناضلون من أجلها:







السلام .. المساواة .. الديمقراطية .. الحرية .. النصر للطبقة العاملة.

ثم ألقى الرفيق علي عاشور كلمة "الاتحاد" هذه الصحيفة التي تحولت خلال ٣٨ عاما الى أمضى سلاح تحمله الجماهير العربية في أقسى وأعنف معاركها ونضالاتها من أجل الديمقراطية والسلام. ثم ألقى الرفيق يهودا أونغرا كلمة الشقيقة "زو هديرخ" التي توزع على الجماهير اليهودية لتشق ظلام التعتيم والتضليل الذى تفرضه الصحافة العبرية البرجوازية ووسائل الاعلام الرسمية في محاولة لاشباعها بالعداء لكل ما هو تقدمي وبالشوفينية القومية والصهيونية. والقى كلمة "الجديد" سكرتير تحريرها الرفيق سلمان ناطور وكلمة "الغد". مجلة الشبيبة الشيوعية القاها رئيس تحريرها الرفيق أحمد سعد.

وقوبلت هذه الكلمات بحماس شديد، كذلك قابلت الجماهير بحماس منقطع النظير تحيّات الصحف الفلسطينية التقدمية التي تصدر في المناطق المحتلة وتحية مناضلي هضبة الجولان السورية المحتلة والتحيات الاخرى التي قرأها الشاعر سميح القاسم.

واختتم هذا الجانب من المهرجان بتلخيص المسابقة التي أعلن عنها قبل شهرين، وتعرّف الجمهور على الفائزين بجوائز الصحافة الشيوعية، وهم كثيرون، وفي المناسبة أعلن الرفيق صليبا خميس عن الحملة المالية الجديدة المخصصة لتحسين طباعة الصحف الشيوعية، مؤكدا على ثقته بان الجماهير التي تحب هذه الصحافة لن تبخل عليها باي دعم. ثم أعطى المنبر للمواهب الفنية الشابة التي تجند اللحن والصوت والحركة الى جانب الكلمة في معارك قوى الشعب الوطنية والتقدمية، فاضفت على هذا المهرجان أكثر من شكل، وأكثر من مجرد مناسبة تقليدية، انه مهرجان شعب بكل ما للكلمة من معنى.





كلمة

"الجديد" الجيل الذي كبر مع الجديد وصمد معها

حين نحتفل بمرور ثلاثين عاما على صدور "الجديد" مجلة الثقافة الوطنيه والفكر الثوري الرائده في هذه البلاد، لا بد من العودة الى الظروف التي بدأت تصدر فيها بعد تشرد ابناء الشعب العربي الفلسطيني ونزوح العشرات من أبرز مثقفيه وكتابه وشعرائه ومسح المعالم الثقافيه والحضاريه التي انشاها هذا الشعب قبل النكبه.وحين كانت على اشدها معركة الجماهير العربيه من اجل البقاء والصمود، معركة كان على اقلية ضئيله انهكتها الحرب وعمليات التشريد والارهاب والمجازر ان تواجه فيها نظاما خطط لهذه الاقلية ان يتحول ابناؤها الى حطابين وسقاة ماء بعد ان تسحب من تحت اقدامهم ما تبقى من الارض وان تحرمهم من كل امكانيات التطور والحفاظ على الكرامه القومية،مستعينة بانظمة الطوارئ الموروثه عن الاستعمار الاجنبي وبالقوانين المجحفة والعنصريه، مستغلة جراح هذا الشعب لتغرز فيها مخالب سياسة التمييز العنصري والاضطهاد القومي.

في هذه الظروف نشأت الجديد في اكتوبر ١٩٥١.

ولم يكن امام هذه المجلة الثقافية الثورية الا ان تتحمل مسؤولية التصدي لهذه السياسة على الجبهة الثقافية لتؤكد لحكام هذه البلاد ولدعاة الحركه الصهيونية ان هذه الارض ليست كما يصورونها : مستنقعات وصحراء قاحلة، وان هذه الاقلية التي بقيت على هذه الارض بعنادها ونضالها وتضحياتها، هي اقلية قومية لها كل الحق ولديها كل القدرة لان تدافع عن بقائها وعن حقوقها القومية، وان هذه الاقلية قادرة على انجاب المثقفين والشعراء والكتاب والفنانين الوطنيين والتقدميين الذين يستطيعون ان يقفوا في الصفوف الامامية في معارك شعبهم من اجل الدمقراطية والحرية والسلام.

في خلال ثلاثين عاما صدر الكثير من المجلات الثقافية الشهرية والاسبوعية عن اجهزة السلطة والهستدروت ليس حبا بادبنا وادبائنا وليس اخلاصا لتراثنا وثقافتنا وانما "لخلق تيار من الادب العربي الرجعي الانطوائي"، وكذلك في محاولة بائسة لمنافسة الجديد وصحافتنا ولكن هذه المجلات كانت موسميه وسقطت على الطريق "الجديد" صمدت رغم كل شيء وظلت تتجدد عاما بعد عام وعددا بعد عدد. ولم يكن بامكانها ان تصمد الا لانها وطنية وتقدمية وثورية، والا لانها مجلة شعب، تعكس همومه وآلامه ومنه تستمد الطاقة على مواصلة الحياة، تتعلم منه اساليب النضال وتقدم له سلاحا حادا وقاطعا لمواجهة الصهيونية ومؤامرات الرجعية العربية المتواطئة مع الامبريالية العالمية وحكام اسرائيل في مخططاتهم التوسعية والاستعمارية".



شبيبة اليوم .. تغني للمستقبل

في خلال ثلاثين عاما كان على "الجديد" ان تواجه سياسة التجهيل والعدمية القومية فنشأ على صفحاتها جيل يقاوم التجهيل ويعتز بانتمائه القومي ويتغنى بالارض ويحث على التمسك بترابها، ويرفض الخنوع والاستسلام والاضطهاد والتمييز.

هذا هو الجيل الذي نشأ مع الجديد وكبر معها، فصمد وصمدت معه. وكانت الجديد قلعة هذا الجيل خلال ثلاثة عقود، كانت مسلحة بالماركسية اللينينية، راسخة بارتباطها بالجماهير، ومحمية بحزب الطبقة العاملة، احتضنت حركة ثقافية، ثورية، وطنية، تقدمية ملتزمة، وضمت كوكبة شعراء وادباء المقاومة والصمود.

في عيدها الثلاثين، تجدد "الجديد" عهدها بان تواصل هذه المسيرة ومثلما انه من حق قرائها ان يطلبوا منها الاكثر والافضل والاعمق، فمن حقها ان تطلب من قرائها وكتابها وموزعيها ان يعملوا على زيادة توزيعها وتعميق ارتباطها بالجماهير. ولا يسعني في هذه المناسبة الا ان احيي مئات الرفاق الذين يقومون بايصالها الى جماهير القراء والذين نجحوا في زيادة توزيعها هذا العام بنسبة ٥٨٪.

اليهم جميعا، الى آلاف القراء، الى كتاب الجديد والى حزبنا الذي يرعى هذه المجلة وهذا الادب الثوري الملتزم .. الف .. الف تحية وكل مهرجان وانتم بخير.

البطل الثوري في صراعه القومي والطبقي

قراءة لرواية علي الخليلي "المفاتيح تدور في الاقفال"

بقلم: اسامة محمد محاميد

مدخل

لعلي الخليلي مساحة اثيرة وقيمة في رفوف المكتبة العربية عموما، والمكتبة الفلسطينية خصوصا، تشغلها مساهماته الرائدة والغزيرة التي ابدعها في مسافة زمنية لا تتعدى الثمانية اعوام من ١٩٧٤–١٩٨١، في مضامير ادبية شتى، فله خمس دراسات في مضمار البحث الفولكلوري هي، على الترتيب الزمني "التراث الفلسطيني والطبقات" (بيروت ١٩٧٧)، "اغاني الاطفال في فلسطين" (القدس ١٩٧٩)، "البطل الفلسطيني في الحكاية الشعبية" (القدس ١٩٧٩)، "اغاني العمل والعمال في فلسطين" (القدس ١٩٧٩) و"النكتة العربية" (القدس ١٩٧٩). وله سبع مجموعات شعرية، هي "جدلية الوطن" (بيروت ٧٤)، "تضاريس من الذاكرة" (بيروت ٧٢)، "نابلس تمضي الى البحر" (بيروت ٧٧)، "تكوين للوردة" (طرابلس ٧٨)، "الضحك من رجوم الدمامة"، "كتابة بالاصابع المقيّدة" (عكا ٧٩)، و"ما زال الحلم محاولة خطرة" (القدس ٨١). وله مجموعة من القصص القصيرة هي "احتمالات الهامش" (بيروت ١٩٧٤) ومجموعة من الحكايات للاطفال هي "عايش تلين له الصخور" (القدس ٧٩) يضاف الى ذلك مئات الخواطر الاجتماعية – السياسية والمقالات الفكرية الادبية، التي تطالعنا من على صفحات "الفجر" وملحقيها الادبيين، الاسبوعي والشهري.

من هنا تعتبر روايته الاولى "المفاتيح تدور في الاقفال" (١)، دفعة اخرى في هذا الزخم الابداعي، في عدة شخصيات تجمعها وحدة المكان، الا وهو المخيم والازمة في حارة الياسمينة بنابلس، وتوحدهما مرارة الواقع القهري المعاش على الصعيدين الاجتماعي – الطبقي، والسياسي – القومي. وتتصدر هذه الشخصيات شخصية البطل الرئيسي محمد حمدان بعجر عبد الفتاح – ابن الاسرة الفقيرة وذى الخلفيه المسحوقة، فجده كان بائع كسبة في سوق البصل بنابلس، وابوه عمل فرّانا اجيرا. وقبل ذلك راعيا محتقرا. وعبر تصوير دقيق نتعرف على طفولة الفقر والشقاء التي يعانيها في "بيت مشقق السقف، محفور الارض، تختلط فيه الروائح والحشرات" وفي المدرسة و"دفتر النسخ المهترى في كيس الكتب تتلفه كزمة الزعتر وبعد الدوام ينتقل الى القرية ليساعد اباه "فيحضر العجين من بيوت الاثرياء" ثم يعود للمذاكرة على ضوء القنديل. في خضم هذه الطفولة القاسية يذوق اول طعم للقهر الطبقي، ولكنه سرعان ما تحل تلك الساعة التي يذوق فيها طعم القهر القومي، حين يستشهد خال امه القادم من القرية الى المدينة، فيطرق الجنود الباب ليلا ويداهمون بيتهم وينتشرون في كل شيء". ثم يقتادون والده. منذ هذه المرحلة يبلور محمد "احلامه" محددا هوية اعدائه الذين يقمعون شخصيته: الاثرياء من ناحية والمحتلون من ناحية اخرى. ويقول في حوار داخلي منساب في تيار من الوعي "ثم ينطلق خاطر في ذهني كالبكاء، هل ساكبر واصير رجلا واقرا الجرائد مثل ابن جارنا الذى يسب الحكومة ولا يخاف، وربما اكتب في الجرائد ايضا واخرج في المظاهرات وادفع باصبعي في وجه اكبر تاجر في البلد" (الرواية من ٢–٢١). وتتراكم في داخليته مشاعر الحقد والنقمة المكبوته، تتفاعل وتتوهج ! لاختراق دائره الفقر القهريه ولتحطيم حصار الاحتلال القمعي، بالصمود والتحدى والمقاومة. وتحقيقا لذلك "الحلم" يتحول التفكير عنده بان كل اولاد الاغنياء" هم مخانيث بلا استثناء"، وضرب بعض هؤلاء الاولاد (ص١٤)، يتحول الى وسيلة تنفيس وتصريف نفسية لمشاعره على الصعيد الطبقي، بينما تتعدد وتتنوع الوسائل، على الصعيد الاخر الصعيد القومي، تكريسا لرفض الاحتلال وممارساته الاضطهادية.

المعادلة الاساسيه

وشيئا فشيئا تتشكل في نفسه المعادلة الاساسية في هذا الاطار – بانه كلما ازداد عنت وعنف المحتلين ازداد اصراره على تحديهم ومقاومتهم وتاكد تصعيده لذلك. هذه المعادلة تتجلى امام ناظرى القارئ من خلال الشخصية المحوريه والشخصيات الاخرى المرتبطة بها، وترافقه حتى نهاية الرواية. ففي البداية يقوم برشق سيارة عسكرية بالحجارة، وهو الصبي اليتيم الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة، فيصطدم للوهلة الاولى، وجها لوجه بالشاويش موشيه رمز الاحتلال في الداخل اى في السجن – بعد ان كان قد الف رمز الاحتلال في الخارج – اى في الشوارع وفي المخيم – الا وهو الجنود باعتقالاتهم التعسفيه واعتداءاتهم الهمجيه ومداهماتهم الليليه التي جعلته كما يقول "اتصور نفسي رجلا قويا اصدهم واقاتلهم" (ص ٣١–٣٢). ويرفض ان يدفع الغرامة، مؤثرا السجن ستة اشهر عليها، لانه يحس ان دفع فلس واحد هو خيانة بلدى وقضيتي (ص٣٦). ويعاد الى السجن لمدة اخرى مماثلة، لا لشيء، الا لانه تجرا على مناقشة جندى شتمه ولطمة في وسط الشارع. ثم يسجن لمدة سنتين لاشتراكه بالمظاهرات وتوزيع المناشير، ورغم انه

◄

يفقد الامل في اكمال تعليمه، الا انه لا يشعر بأي احباط، فيتعلم الحدادة والنجارة ويعمل اخيرا في القرن الذي عمل فيه ابوه.

مانفيست البطل الثوري

وفي هذه المرحلة يتصاعد مستوى النضال، حين يخرج مسدس والده الذي اشتراه باساور امه عام النكبة، ودفنه في قبة القرن – وينظم خلية قتالية تضبطها سلطات الاحتلال بسرعة، وتزج به لمدة طويلة، وتنسف بيته. هذه النقطة تشكل نقطة انعطاف متجددة في حياة بطل الرواية. فمن خلال تنقله من هذا السجن الى ذاك، من سجن نابلس الى سجن الخليل، ومن سجن طولكرم الى سجن جنين، في غرف صغيرة تضم ٥٢ سجينا تلتحم علاقاته بمن سبقوه في التجربة، فتتعمق رؤيته الثورية ويتأصل وعيه الوطني، ونتيجة لمواجهته المباشرة المتكررة مع المحققين وتكشف نواياهم ونفسياتهم المبيتة لتحطيمه من وراء "القضبان التي تدور المفاتيح في اقفالها".

تتفولد ارادته الجبارة، وتتصلب عزيمته الجلدة، فالمحقق هو الذي يفزع ويتعب منها، وهو الذي يتفاقم غيظه الشديد منها (الصفحات ٤٠، ٥٨، ٦٩). اما تلك الرؤية فتتمثل في قوله "ان عدوا ضخما يخلق بالمقابل مناضلين معادين له عمالقة وقادة كبارا لن أسرد الان تفاصيل كثيرة ولكنني اسجل ان القضبان والابواب الحديديه تضيء خلف عتمتها رؤية واضحة لدي وتجعلني اكثر حرصا على التضحية والعطاء دون حدود، واسجل أيضا أن الانسان الثوري قادر على الحب في الوقت الذي يتفجر صدره بالحقد الشرعي ضد ادوات القمع والموت، ان مواجهة العدو الواضح والمميز تجربة فريدة تتحقق من خلالها مواجهة مجموعة من حقائق الوضع الانساني كله. وبقدر ما تكون هذه المواجهة عميقة وصلبة، بقدر ما ينتفي دور القوة التقليدية ويصبح المناضل الصامد هو بالتحديد، فجيعة الجلاد المتسلط والمشحون بالموت والخراب" (ص٣٨). هذا المانفيست الذي يبني عليه البطل الثوري، أسس تعامله مع العدو وغيره، ويحدد فيه فلسفته الحياتية الشمولية.

نموذج الثوري ونموذج الانهزامي

ومن خلال شخصية محمد حمدان نتعرّف الى نموذجين متناقضين أفرزهما الواقع المعاش تحت نير الاحتلال، النموذج الاول هو النموذج الثوري المناضل بكافة وسائل الكفاح الممكنة التي ادّت به الى السجن، وذو الوعي الوطني والطبقي والاجتماعي المتكامل في رؤياه ازاء قضية الوطن أولا وقضيتي المرأة والدين ثانيا. وتمثل هذا الاتجاه التقدمي، بالاضافة الى شخصيات كل من مروان العكاوي ماسح الاحذية، وابن عمته عصام العكاوي العتال، واسامه الاخرس ابن الدهان، وضرار كامل بائع المكانس، وسمية ناصر الطالبة ابنة الكندرجي. كل هذه الشخصيات كما تلاحظ ذات قاعدة اجتماعية واحدة هي طبقة الفقراء والمسحوقين ابناء الحارة الواحدة والمخيم الواحد، وقد التقوا جميعا كل من موقعه وبطريقته، في مقاومة المحتل وبالتالي في الموقع النضالي النهائي وهو السجن. فمروان يقتل ضابطا اسرائيليا، وعصام يقاتل في جنوب لبنان ويفقد ساقه اثر انفجار قذيفة صاروخية فيقع في اسر الجنود الاسرائيليين، واسامه يرشق سيارة عسكرية بالحجارة، وبعد ان يفرج عنه يسافر عبر الجسر ويعود مخفيا مسدسا في كتاب فيعتقل وفي المحكمة العسكرية يهين باشارة من اصبعه القاضي فيتضاعف حكمه الى عشر سنوات، وضرار يبدا بالتحريض ضد الاحتلال حين يعرض مكانسه للبيع ويصيح "اكنسوهم" وينتهي الى تجريب عبوات ناسفه تتفجر احداها وتشوه كف يده، وسمية ناصر تشترك في المظاهرات، ثم تعتقل وقد اخفت صورة ابن الجيران محمد حمدان في جيب مريولها. ان هؤلاء المعتقلين يحولون السجن الى قاعدة نضالية اخرى، حيث يعلقون الاضراب العام عن الطعام، ويرددون اناشيدهم الوطنية الثورية ويصدرون نشرتهم السرية في غياهب الزنازين و"اكسات" السجون التي "لم تكن الا اسطبلات للخيل الغازية من ايام بني عثمان" (ص٥٨). وتنشط جدالاتهم ونقاشاتهم حيال القضية وضرورة اندماج المرأة فيها، وحيال نظريات بعض رجال الدين الاسلامية للاحتلال، وحيال اولئك الاثرياء المعادين لهم والمستغلين لطاقاتهم، والمتخاذلين هم ايضا في تعاملهم مع سلطات الاحتلال.

السجن قاعدة

وهكذا لا يكون السجن "مدرسة فحسب، بل قاعدة من قواعد الثورة في الارض المحتله" (ص ٦٣)، وتنمو في داخله اشياء حاسمة وجوهرية هي "وهج التاريخ الحقيقي" (ص ١٠٩)، خاصة وان "تراب السجن ايضا جزء من تراب وطني" (ص٨١).

اما النموذج الثاني فهو النموذج الساقط والانهزامي في التعامل مع ابناء شعبه والمتخاذل مع سلطات الاحتلال، ويمثله فاضل المستور الفقير الذي "يتبرجز"، فينقلب بالتملق والوصولية والرياء من ذلك البائع المتجول الناقم على وضعه المزري الى تاجر ثري سرعان ما يتبع نهج النفاق والانتهازية في مواقفه من الدين والفقراء. فباسم الدين يحرم على الفقراء المسحوقين العمل في اسرائيل من اجل لقمة عيشهم، متهما اياهم بانهم "يسندون اقتصادها ويخالفون شرع الله والدين" (ص٩٩)، وباسم الدين ايضا يبرر وجود الاحتلال لمجرد ان شخصا ما يكفر ولا يستغفر (ص٨٥)، بينما هو هو الذي يدعم الاقتصاد الاسرائيلي بصفقاته التجارية التي يبلغ حجمها مئات الالوف من الليرات، فيحظى باحترام موظفي بنك لئومي ليسرائيل واستقبال مديره في مكتبه (ص٩٨)، وهو هو الذي ينحر الخراف للضباط والموظفين الاسرائيليين، ويذهب الى الحاكم العسكري والمصحف في جيبه (ص١٠١)، ويسارع الى طلاء الشعارات المعادية قرب متجره، ويجاهد بتأييده لامريكا وسياستها الرشيدة ؟؟ ويبرز هذا التفاني بالتبرع لبناء مسجد او اطعام اليتامى والارامل، او باغتنام فرصة احد الاعياد مع وفد كبار التجار الذي يكتشف فجاءة ان في البلد سجونا، فيزورها باليمن

والبركات واسقاط الحلويات تحت مظلة مباركة ورعاية ضباط الاحتلال وسرعان ما تجد هذه المواقف الرجعيه المتناقضة الرد عليها ، فتنفجر قنبلة امام متجره، ويحذر بالرسائل ، ويرجم بالحجاره من قبل الصغار، وفي النهاية يحرق محله. هذا هو فاضل المستور الذى يطلق زوجته لمجرد هاجس ينتابه بانها تخونه عند احد العمال ، انه طبق الاصل عن سيده التاجر الكبير، الذى توسط للافراج عنه حين اعتقل لشتمه احد التجار عندما كان لا يزال "فقيرا محبطا" ؟ والذى بفضله وصل الى غناه ومركزه، وذلك التاجر الذي يذهب الى مكه لاداء الحجه السابعة، ليس ابتغاء لرضاء الله، وانما ليعود بالبضائع المهربة (ص٧٧) ، انه بالتالي واحد من الذين يقول عنهم ضرار كامل "تنفخهم سلطات الاحتلال فينتفش ريشهم. ويتهادون طواويس نتنة" (ص٧٦) ، والذين حين يموتون تقوم "الطنه والرنه" لهم على غرار الباشا (ص١٨) .

ويمثل هذا الاتجاه ايضا المختار والشيخة، فالمختار يشكل طرفي المعادلة الانهزاميه، فهو الملاك صاحب الارض حيث يستغل الفقراء والفلاحين، وهو المتعاون والمخبر" لاسياده في مبنى الحاكم العسكرى " (ص٥١) انه رمز الزعامة التقليدية الرجعية التي دبت في نفوس الشعب روح التواكل والقدرية وتاجرت بالشعارات الجوفاء، "بقباقيب نسائنا نطردهم" "لو بصق كل واحدمنا بصقه اغرقناهم جميعا" (ص٧) . اما الشيخة فهي تمثل سلك بعض رجال الدين الخنوعين الذين لجأوا الى تثبيط عزائم الرجال واشاعة الفكر الاستسلامي في قلوبهم، على غرار "ان ما يجرى وما جرى وما سيجرى هو من اقدار الله وحده" ، وان "الاحتلال لعنة من الله " (ص٤٤) ، وهي التي تكرس بين الناس الطقوس الغيبية الخرافيه كاذابة الملح في الماء عند تلاوة سيرة المولد النبوى الشريف واستحضار الارواح .

التمييز بين الجندي واليهودي

اما علي صعيد الاحتلال فان الجنود والمحققين هم رمز له، ويصورهم الكاتب كشخصيات نمطية من خلال ممارستهم اليوميه كمداهمة البيوت والطرق على ابوابها ليلا ، وفرض منع التجول واعتقال الاطفال والنساء والرجال وشتمهم وضربهم عند الحواجز وفي غرف التحقيق ونسف البيوت. ويظهر لنا تشكيكهم حتى في اعوانهم مثل فاضل



المستور (ص٩٨) . ويرمز الكاتب الى المحقق موشيه كوجه آخر لنفس العملة باعتباره اداة للعسف والقمع وتحطيم الارادة . انه يشتمه بالعربية المكسره التي تختلطها عدة لهجات ويمارس مختلف اساليبه ولكنه يفشل، بل يصاب بالذعر والفزع والغضب، وتزداد ارادة محمد حمدان صلابة ورسوخا على الرغم من اسنان المحقق السوداء المدببة" (ص٦٩) ، وعلى الرغم من غطرسة الضابط الذى كان ازرق العينين، اشقر الشعر، نحيلا مغرورا " (ص٢٩) . ويميز محمد حمدان ورفاقه بين الجنود والمحققين من جهة وبين السجانين من جهة اخرى. فينظر الى الاخيرين نظرة شفقة على حالتهم: "وخاف الحراس ان يقتربوا اكثر نحونا فاظلمت عيونهم وتشاءموا من حياتهم، وبالمقابل غمرنا الفرح. صرنا نمازح بالتنكيت عليهم نشفق احيانا على اوضاعهم. فهم داخل الحصار ايضا، ونعتبر ان بنادقهم مجرد ادوات رعب تعكس مباشرة رعبهم الذاتي يخترقهم كالاسياخ المحمية" ، (ص٣٨) ، وهو كذلك لا يحقد عليهم

البقية على صفحة ٤٠

وما نسينا..

سلمان ناطور

المفكرة

الحلقة ١٤



كنا نطعم اهل الرملة من غلتنا ويطعمونا من غلتهم .
شو جاي على بالي طريق البحر..

تحمل أنامله المرتعشة مفكرة صغيرة، تتراقص وهو يقلب صفحاتها وتكاد أن تسقط من بين يديه، فيحكم قبضته عليها: "اذا راحت هالمفكرة يا عمي، راحت حياتي صار عمري ثمانين سنة وأكثر، كله سجّل في هالمفكرة... قلت أيا راح موت والتاريخ مش راح يموت.. يمكن في ناس بدهم يموتوا التاريخ بس لا يا عمي، كله مسجّل في هالمفكرة"...

يفتح صفحة كذا .. يفضل هو ان يقرأ ما حدث.. شيخ مشقق الوجه حين يبتسم تتعمق القنوات التي تقطع وجهه طولا وعرضا، وحين يغضب يختفي منها الكثير اذ يحكم اطباق فكيه فتبرز الاورده التي تغطيها طبقة جلديه رقيقه.. وانامله ترتعد حين يغضب وحين يبتسم، يرتفع صوته دائما . ففي مفكرته ما يدفعه احيانا لان يصرخ ... احيانا لان يبكي... احيانا لأن يسخر من هذا القدر

"حكيت لك يا عمي عن الجليل.. وطنا مش بس الجليل.. كنا نحمّل الدواب في الطنطورة قبل ما تشق الشمس ونمشي مع البحر لنوصل يافا والرملة، ننزل الحمل مع غياب الشمس.. نبقى ليله.. ثلاث ليالي.. أربعه .. ونرجع لبلدنا.. هالزيارات كنا نعملها بعد المواسم.. نطعم اهل الرمله من غلتنا وهم يطعمونا من غلتهم.. شو جاي على بالي يا عمي اركب هالحمار وامشي طريق البحر.. لحد ما يوصلني ليافا.. بس شو راح يقولو عني .. مجنون. يمكن تمسكني دوريه يا خدوني لمخفر البوليس وهناك يظلوا يضربوا فيّ ويرموني في البحر.. وانا زلمه كبير انهنت كثير في حياتي وبعد شيبتي ما باقبل الاهانه ولا اولادي بيقبلوها الي.."

لم يكن سهلا علينا ان نقنع الشيخ بان يركب السياره معنا ونسافر الى الجنوب، قلنا له: مع الشاطئ، يقطع الطريق ونفتح شبابيك السيارة فيتسرب هواء البحر وحين نقترب من الرمله تفوح رائحة نوار الليمون.. ترى مئذنة الجامع يا شيخ، نبقى معنا يوما او يومين..

يطوي المفكرة الصغيره ويحشرها في جيبه.. يمد انامله المرتعشه الى عقاله فيركزه على قمة راسه، يتكئ على عكاز صنعها من السنديان. وتقف على رجلين. ساورنا خوف بان نفقد الشيخ على الطريق.. يموت الشيخ فتموت معالم هذا الوطن.. تسقط المفكرة في البحر فتضيع

التاريخ.. او يبقى لمن يفهمه كما يشاء ، وليس كما يعرفه شيخ مشقق الوجه ترتعش انامله.. لكنه لم يفقد الذاكرة.



لو يصح لي كنت سالته سؤال واحد : تظفت ايديك من دمنا يا ابن الصرماى .

تغير كل شيء منذ ذلك التاريخ ،الشاطىء الذى يمتد "على مد النظر" أصبح يختفي خلف العمارات الشاهقة ويحجبه الدخان الذى تنفثه اعمده شركة الكهرباء المنتصبه على قبور عرب المفجر، يهز برأسه ويصوب نظراته كما لو كان يريد ان يقتلعها من اساسها.. يواصل الحديث عن البيارات.. وعن مقاثي البطيخ.. يحدث عنها وكانها ما زالت موجوده، حتى بئر الماء التي وضعت على حافتها بلاطة من ايام صلاح الدين ما زالت قائمه في ذاكرته لكن قناة مجاري القرف بقتها من مراحيض الخضيره وحتى البحر .. عشرات الاسماء تسمعها لأول مره ولولا انك تعتق هذا الوطن لما علقت في الذاكرة.. تقترب من الجنوب..سلمه الخيريه ، تربة كانت عامرة واليوم اصبحت مزبلة ، تضايق طبرجيةال عال برائحتها ، وبغربانها السوداء التي تحوم فوقها ، العباسيه ، الساقيه ، بيت دجن ، يا زور ، صرفند العمار ، صرفند الخراب: "ايام الحرب العالميه ياعمي ، كان في البلد جنود استراليين ، اغتصبوا صبية من بنات البلد ، قتلوا عشرات الناس ودمروها عن بكره ابيها ، علشان هيك سموها صرفند الخراب.. بعدين عمروها اهل البلد ، وما مضت ثلاثين سنه ، والا اجا ضابط وامر بحرق البلد ، ودمروها عن بكرة ابيها ، واهلها مش قادرين يعمروها.."

تطل على مشارف الرمله ، فتبدو عن بعيد مئذنة الجامع ،يصر ان ياخذنا الى جامع دهمش: "في الرملة تجمعوا كل المشردين من قرى المنطقة وصل عددهم اكثرمن ١٠٠ الف..جمعوا الشباب في الجوامع والكنايس والباقي طبوهم في البيوت.. وفي الساحات العامة.. يوم .. يومين .. كانوا ينتظروا فرج ربهم .. لا اكل ولا شرب..وهالجنود تنهر عليهم وتعاملهم مثل الحيوانات لحد ما وصلت جنودهم مسلحة ، وادعوا انه القيت قنبله على جنود يهود ، فرضوا منع تجول واخدوا يذبحوا في الناس ، ذبحوهم في الجامع وفي الكنيسه.. شو ميه.. ميتين.. . شو خمس ميه.. قول اكثر.. صاروا يذبحوا في الناس عن جنب وطرف.. الاهالي ما كان معهم سلاح والجيش الاردني انسحب.. وما بقي للناس الا يهربوا.. كان قائد الجيش يومها أسمه اسرائيل غاليلي وقيادته كانت في النعانه ومعه ضباط معروفين صاروا اليوم وزرا كبار هم اشتركوا في تنفيذ المجازر.. دم هالناس بعده ملطخ ايديهم.. لو يصح لي احكي مع حدا منهم لكنت سالته سؤال واحد بس: "تظفت ايديك من دمنا يا ابن الصرماى؟"



اهاليهم كانوا بسطا . سلّموهم للجيش.. بعد اكم ساعة جابوهم روسهم مقطوعة .

أصرّ الشيخ المشقق الوجه الذى نتحدث عنه ،على أن ياخذنا الى معتقل قطره (غديره اليوم) الذى امضى فيه اسبوعين بامر من ابايل تسوكرمان الذى عين حاكما بامره على المنطقة.. حدثنا عن " نواح" مدير المعتقل الذى لم يعرف ان يتعامل مع العرب الا بلغة الكرباج.. "اخذوا يعتقلونا بالجمله.. ندخل المعتقل يستقبلنا نواح بكرباجه ولسانه البذيء .. يقشطونا كل شيء معنا .. ويرمونا اسبوع اسبوعين ويطلقوا سبيلنا ، نخرج نلاقي بلدنا مشردة والجيش بيلعم فيها..

في اسدود فرضوا منع تجول . الناس ما كانت تعرف شو يعني منع تجول ، طلعوا اربعة في الشارع ناحية الجامع ليصلوا.. كان معهم شيخ في الثمانين اسمه عبد الحميد ابو محيسن ، الباقين ماعرفت اسماءهم.. قوسوهم.. في الشارع العام وأمروا الناس يظبوا جثثهم.. بعد ٣ ايام جمعوا كل اهل البلد.. الختياريه رموهم في المعتقل والشباب كبوهم في المجدل.. بعدها احتلوا المجدل وحذروا الناس من انه كل واحد بيجي ابنه او قريبه لعنده من بلد ثانيه لازم يسلمه للجيش والا بيقتلوهم وبيهدمو دورهم.. ساكين في ثلاث شباب كان اهلهم بسطا واحد منهم من دار الحجار.. اجوا لعند اهاليهم في الليل ، فقاموا سلموهم للجيش بعد اكم من ساعة جابوهم مقطعة روسهم.. واعطوهم اياهم يدفنوهم.. الأهالي تمردوا على الجيش.. وطلبوا الصليب الأحمر.. اجا مندوب عن الصليب الاحمر يحقق في الحادث.. ومعه نائب الحاكم العسكري أسمه نسيم ، سالني المندوب: كيف صار ؟ حكيت له من طقطق لسلام عليكم..

قال نسيم : كيف بتحرض على الجيش.. وتقول قطع روسهم..

وما نسينا..

قلت له: اللي بيقطع روس الناس هذا مجرم وما بيحلم بالخير لحد.. لازم العالم يعرف جرايمكم..

قوافل النازحين خرجت الى غزه.. من الرمله من المجدل من اللد من اسدود.. لم يكن البقاء بحفظ السلامة ولم يكن الخروج بحفظ السلامه.. في بيوتهم دخلوا عليهم وقتلوهم وعلى الطريق كانوا ينتظروهم قتلوا العشرات وهم في طريقهم الى المنفى.. قتلوا العشرات في اثناء تسللهم الى وطنهم .. الشيخ يعرف اسماء الكثيرين.. مسجله في المفكره.. بطويها كي يحكي حكاية آخرى.. ليس عن الذين ماتوا.. ليس عن الذين صمدوا .. وانما عن الذين حاولوا ان يتآمروا..



ذبح خروف على شرف تشيشيك. فاتهمه بانه ذبح بدون رخصة. وفي الليل حملته السيارات..

تشيشيك يا عمي كان نائب الحاكم في المجدل، هو خلص على الناس اللي بقوا ورفضوا يتركوا بلدهم..حاول يمسك وجهاء العائلات ويدفع لهم ليرات فلسطينيه..نجح مع اكم واحد زنكيل من هاللي عملوا حالهم على راس الوطنيه.. اما الفقرا فظلوا متمسكين بتراب ارضهم.. يوم دخل البلد وحذر الناس وقال لهم انه الجيش احتل البلد وكل واحد بيبقى فيها على مسؤوليته، واحد من هالزعما التيوس فكر يكسب رضا تشيشيك فدعاه على حفلة غدا وذبح له خروف ومد سفره تطعم بلد.. بعد ما اكل.. وشبع الادون تشيشيك اتهمه انه ذبح بدون رخصة وهدده بالحبس.. اذا ما رحل عن بلده.. في نفس الليله، وصلت سيارات جيش وحملته مع عياله واولاده وكبوه في غزه.. وصاروا يحملوا في الناس ويكبوهم.. يجمعوهم ليصيروا حمل سيارة ويكبوهم علىلحدود.. ويطلقوا النار عليهم.. جمعه سليم كان ختيار، مسكين، فقير ما له حد في هالدنيا.. حملوه وكبوه وقتلوه على نقطة الحدود..

في المجدل كان مقام للحسين.. لما دخلوا البلد اخذوا جلال القبر، حرام اخضر مغطي الضريح.. لبسوه على حمار وداروا بشوارع البلد، يقولوا للناس: شايفين هاي دينكم.. على ظهر الحمار.. نسفوا البلد في الطيارات.. يمكن ياعمي بعد ختياريه عايشين وبعرفوا

الحوادث اكثر مني.. شو مفكرتي راح توسع لتوسع.. كل شيخ مفكره كبيرة، اقعد معهم، واسمع وسجل.. وانا رجعني على بلدي.. عرّفتك على المنطقة وانت ابحث عن مشايخها.. بحكوا لك كل شيء من الكبيره للصغيره.."

تتغير الاسماء.. تتبدل المعالم.. كان شريطا كان يغطي على عينيك، وبأنامله المرتعشه، يمسك الشيخ المشقق الوجه بهذاالشريط وينزعه عن عينيك، يبدو لك الوطن كما يتراءى في الذاكرة.. تماما كما في الذاكرة... تغيب في شطحة كشطحات الصوفيين .. لا تنتقل من الواقع الى الخيال، تنتقل من واقع مؤلم الى واقع اشد ايلاما.. صور الذاكره تعرز في العظم.. انت انسان اخر.. تماما، انسان آخر .. عليك ان ترتفع فوق ما يشغل بالك..او تغوص في اعماق الذاكره .. عاد الشيخ الى قريته العامره .. وبقينا نبحث عن الساقيه وعن الخيريه وعن يازور وصرفند العمار وصرفند الخراب.. قائمه هذه القرى، موجود هذا الوطن

نطمئن، نطمئن، نطمئن.



أطفال فلسطين .. لاحقهم الموت في وطنهم وما زال يلاحقهم في المنافي ...
هكذا تركت آثرها طائرات سلاح الجو الاسرائيلي في تموز ١٩٨١ ..

قصة فلسطينية للأطفال

الحرّية



في صباح بارد خرجنا من بيوتنا الى المدرسة ، قبل أن نصل الى ساحة المحلة ، فوجئنا بدبابة تقف في نهاية الزقاق . لأول مرة نرى دبابة حقيقية ، لذلك وقفنا قليلا نتفرج عليها ... انها تشبه تماما الدبابات التي رأيناها في السينما ، انما كانت واقفة ولا تطلق النار ، ومن برجها الذي يشبه رأس الفيل يطل جندي يرتدي قبعة غريبة . أحدنا حاول أن يقترب منها خطوتين ، لكن الجنود الغرباء الواقفين حول الدبابة تذنوه بحجر ديرينا جميعا عبر حديقة الساحة ..

عندما رجعنا من المدرسة وجدنا بمفاجأة ثانية .. فقد وضع الجنود الغرباء أسلاكا شائكة حول حديقة الساحة ونصبوا على الحشيش خيمتين بلون الطين الرمادي .

— كيف يمكننا أن نصل الى بركة الحديقة ؟

— كيف سنراقب أفراخ العصافير فوق الشجرة ؟

— كيف سنجمع القداح المتساقط من شجر النارنج ؟

وما كنا نعرف هؤلاء الجنود الغرباء وماذا يريدون منا حتى مر بجانبنا طالب في الثانوية وقال بصوت عابس :

— انهم الاعداء ..

وذهب دون أن يفسر لنا معنى ذلك .

مرت أشهر و (الاعداء) مازالوا في الساحة .. ينشرون ملابسهم على سياج الحديقة ويحلقون لحاهم على حافة البركة . وما عاد باستطاعتنا ان نسهر ليالي رمضان تحت مصابيح الساحة او نسبح ظهرا في بركة الحديقة . ولكي نعبر الساحة في طريقنا الى المدرسة كنا نسير بجانب الجدران لا نقترب من الاعداء . ومن سطوح بيوتنا كنا نراهم يقطعون أغصان الاشجار بفؤوس حادة ليصنعوا منها حطبا يتدفأون عليه في الليل . ولذلك غادرت العصافير أعشاشها على الشجر وفوق العشب الذي كنا نتمرغ عليه .

ذات صباح رأينا الاعداء يصرخون غاضبين بأصوات لا نفهمها ويشيرون الى كلمة مكتوبة بالفحم على أحد جدران الساحة : الحرية .. ما عرفنا معنى هذه الكلمة فسألنا معلم التاريخ فأجاب وهو يغلق نافذة الصف :

الحرية شجرة ترويها الدماء !

أنذاك عرفنا لماذا يقطع الاعداء أغصان الشجر ...

عندما عدنا الى المدرسة وجدنا الاعداء يقفون في مداخل الأزقة .. فتشوا جيوبنا وحقائبنا بحثا عن قطع الفحم أو الطباشير ..

وفي المساء دخلوا زقاقنا وكانت خوذهم الحديدية تغطي عيونهم وضوء المصابيح يلمع على رؤوس الحراب في بنادقهم .. توقفوا عند باب معلم التاريخ رفسوا الباب بأحذيتهم الثقيلة ، ودخلوا بيته ممسكين ببنادقهم ، ثم خرجوا ممسكين بمعلم التاريخ من ذراعيه وأخذوه معهم .. فكرت « اذن هو الذي كتب الكلمة على الجدران » .

في الصباح خرجنا الى المدرسة فأوقفنا الاعداء ، وصلونا عند جدار أبيض كتب عليه مرة أخرى كلمة (الحرية) ولكن بحروف أكبر ، رفع الاعداء بنادقهم بوجوهنا وسألنا الضابط الذي يرتدي نظارة طبية سميكة بصوت غاضب :

— من الذي كتب هذه الكلمة على الجدار ؟

سكتنا جميعا وما كنا نعرف الذي كتب الكلمة . فمعلم التاريخ ما زال عندهم ولم يعد الى المدرسة .. وتقدم الضابط الاشقر الى أول واحد منا وأمره أن يكتب نفس الكلمة على الجدار . تقدم سمير وهو يتلفت حتى لا يضربه الضابط الاشقر ، أخذ قطعة الفحم وكتب على الجدار (الحرية) ثم وقف في الجانب الثاني .

بعده تقدمت هناء وضعت حقيبتها على الارض ودفعت ضفيرتها خلف رأسها كتبت : الحرية .

تقدم بعدها هشام ، كانت قطعة الفحم صغيرة ، فأخرج من حقيبته قطعة طباشير وكتب : الحرية .

● والتفت الى الضابط وسأله :

— أتريد ان اكتبها مرة ثانية ؟

● فأجاب الضابط بغضب :

— لا .. واحدة تكفي !

وتقدمت بعده فأخذت الطباشير وكتبت الكلمة على الجدار ووقفت في الجانب الآخر . ومن هناك رأيت أننا كتبنا « الحرية » بإملاء صحيح وخط واضح . حتى صلاح الذي كان أكسلنا في الصف .

ووقف الضابط امام الجدار وهو يهز عصاه ثم التفت نحونا وصاح بغضب :

— غير معقول !! كلكم تكتبونها بنفس الطريقة !

وذهبنا تاركين صفا طويلا من الناس سيكتبون الكلمة على الجدار ..

مرت أيام وجاء الصيف . ورغم أن نافورة البركة ما تزال تنثر رذاذا لامعا تحت الشمس ، الا اننا لا نستطيع الوصول الى البركة . لأن الاعداء ما يزالون في الساحة .

وفي كل يوم يدخلون الازقة ومعهم سلالم طويلة ليمسحوا كلمات (الحرية) التي كتبناها على الجدران . يفعلون ذلك بغضب . ونحن بدورنا أعجبتنا هذه اللعبة التي تضايقهم .. فحالما يمسحون واحدة نكتب عشرة غيرها .. نكتبها على الجدران وأبواب البيوت ودفاترنا وحقائبنا المدرسية . حتى الاطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد ، أخذوا ينقشونها على الجدران . بل أن واحدا لا نعرفه تجرأ وكتب هذه الكلمة على الدبابة التي تحرس الساحة . ورغم انهم هدموا أحد الجدران التي تطل على الساحة ، الا انهم وجدوا بعده جدارا آخر كتبت عليه بالفحم او بالطباشير او بالمسمار :

الحرية ، الحرية ، الحرية ..

عن "فلسطين الثورة"

٨١/٨/٢٤

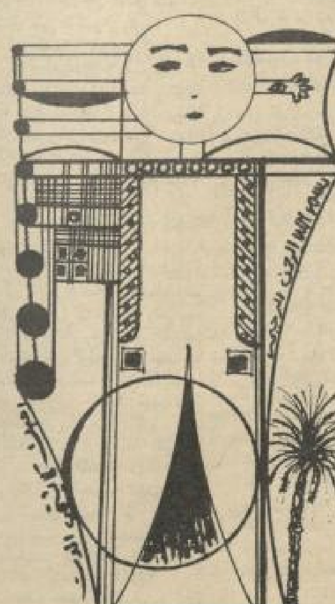
كولاج

بين الكومبيوتر والانسان تنهض نخلة وتمارس الكلمة فصولها. بين الانسان والانسان تقف التعاويذ واللغات ولقمة العيش والاراء المسبقة. بين الكومبيوتر والكومبيوتر يظل الانسان.. هل يظل ؟

تأمل ذلك الرجل مئات الوجوه المزدحمة في محطة القطار. لم يستطع الوصول الى ساعة يده في الزحمة فحاول الوصول الى ساعة المحطة. بين عينيه وساعة المحطة أشعّ وجه حبيبته النائية في أعماقه.

— أدرك ألاّ مفرّ : الكل في الواحد.. والواحد في الكل..

••••



حين هبط ذلك الرجل سلّم الطائرة ألفى نفسه وجها لوجه أمام العدوّ. وحين دلف الى المقهى الصغير على رصيف الشارع القذر ألفى نفسه في جوار العدوّ. وحين انتصب على التلة العالية عاريا الا من حزنه المشتعل كان العدوّ هناك الى جانبه على التلة العالية.

— أدرك ألاّ مفرّ : الكل في واحد.. والواحد في الكل..

فسجّل في مفكرته :

العدوّ يقشّر تفاحة
العدوّ يأكل تفاحته
العدوّ يشرب البيرة المثلجة
ويتجشّأ بتلذذ
العدوّ يصفّر لحنا حزينا
وينشد كلمات مرحة
ها هوذا يتطلع في ساعة يده
لا شك أن لديه موعدا هاما
ما أحقرك أيها العدوّ
ما أشدّ غباءك
تشترى ورودا؟ لمن ؟
لمن أيها العدوّ ؟
ليست لي، طبعا
وانني لحزين من أجلك !

••••

جمع التقارير والنماذج. كدّسها على الخرائط والعناوين والاعلام. كوّم فوقها جميعا ما طالته يداه من الملفات والوثائق والشيفرات وكلمات السرّ.. سكب عليها قطرات من جرحه واضرم فيها النار..

لم تتمكن مطافئ العالم بأسره من اخماد حرائقه. حدّق في اللهب الطيّب بعينين داميتين. عبر النار ودموعه الكاوية خفق وجه حبيبته النائية في اغواره، فاعتذر لها:



اغلقت مداخل منزلك السبعين
نشرت الحرس على الاسوار
بثثت دهاة العسس المحترفين
اطلقت كلاب الاثر
ووزعت الاسلحة
على من بلغوا سن الحزن عليك.
اعددت من كلاستير المشبوه
ملايين النسخ
شرحت الوضع لكل وفود
الامم المتحدة
ماذا اعمل يا حبّي واوجاع المعدة؟
لم اسمع وقع خطى القاتل
كان بكاء الاطفال عميقا في روحي
لم اسمع وقع خطى القاتل
كان حفيف الشجر
وضوء القمر
وكانت اوجاعي اكبر من جسدي
ونوازع روحي اصغر من بلدي..
لا تدعيني انزف حتى الموت

يا حبّي المشرق من جرحين
يا ازل الشفتين
ويا ابد الصوت..
مدّي كفيك، انتشليني
لا تدعيني
انزف منبوذا حتى الموت

سميح القاسم

تقدمي

قصة قصيرة يستطيع ان يكملها من يشاء

بقلم: رياض مصاروه



جلس امام طاولته الملوكية في مختبره العلمي وبدا يعد رفوف المكتبة اولا ثم انتقل الى عد المجلدات الكبيرة ثم الصغيرة وانتهى بعد الكتيبات فوجدها مجتمعة اربعة آلاف وكتيب مهمل عنوانه اسئلة عامل وقت قراءة التاريخ *

ابتسم، اغمض عينيه وكانه ينظر من خلال مكبر وبدا يقرا عناوين المجلدات واسماء مؤلفيها.

ـ شكسبير فولتير، ايسخيلوس، سوفوكليس".. مئات بل آلاف الليرات صرفت على شراء هذه المكتبه التي تصلح ايضا ان تكون متحفا عامرا لكل زائر جديد.

ـ "ابو العلاء المعرى.. المتنبي، جبران......".

ساعات بل ايام بكاملها قضاها وهو منكب على طاولته حتى الانهاك ولم يصل بعد الى ذلك الكتيب المهمل.

ـ "اربعة آلاف مجلد ...ايدرون ماذا يعني ذلك ؟ ولكن هذا الكتيب المهمل عن قصد، لا يعطيه الراحه .لقد كان الهدية الوحيدة في هذه المكتبة وكانت نتيجة نقاش طويل وصاخب.

رفع يده اليمنى بحركة لا شعورية وانزلها بضربة على الطاولة كادت ان تفصل كف يده عن ساعده ووصل الى الاستنتاج ؟

ـ "اربعة آلاف مجلد تكفي لتوصلك يا رجل الى مكانك الحقيقي .اكتسبت المعرفة الكافية..قرات شكسبير فولتير، ايسخيلوس وسوفوكليس.. ومسرحيات ارسطوفانيس الجنسية ودرست الفلسفة اليونانية والرومانية....اين مكانك ؟

ورجعت تلك الابتسامة المميزة للراحة النفسانية التي تنتابه ... نعم الراحة النفسانية نوبة، مثل اية نوبة في الجسم المريض، تروح وترجع ... يشفى منها احيانا ولكنها ترجع بالضرورة امام المكتبة وامام الرفوف البنيه وامام الترتيب الرائع للمجلدات الكبيرة، الزرقاء منها والخضراء... حتى ان الخطوط بدأت تعطي معنى خاصا... الخط الكوفي طاقة الجنسيه....الخط الرقعي استقرار .... وها هو لسان العرب.....الابتسامة ترجع وتتحول الى بلورة نكته ابتدعها:

ـ "ما اطول لسانهم....".

واطلقها صرخة عبرت عن انبساط داخلي اضطره الى الوقوف فجاة.... كل شيء مفاجيء في هذه الحياة. الوقوف مفاجيء... الضحكة مفاجئه.. الصعود مفاجيء والسقوط مفاجيء... الابتسامه نوبة تاتي فجاه... اين التخطيط اذن؟ التخطيط للمكان المناسب دار حول نفسه ولم يجد المرآة التي وضعها البارحة في صور المكتبة

وانتابه بعض الغضب من زوجته ..لماذا كل هذه المعارضة لمرآة بسيطه ترينا تجاعيد وجهنا عندما نضحك .... وعندما نبتسم وعندما نرى ذلك الكتيب الصغير .وبدات تجاعيد الوجه تذوب.. الخوف يذيب التجاعيد ... التركيز في الشيء يذيب التجاعيد وعندما تذوب التجاعيد تبدا الصعوبة في جهاز التنفس....

(ياالله الشياطين، ما علاقة الكتيب بجهاز التنفس ؟)

ـ منقف ؟

اطلقها صرخة اعادت التنفس الطبيعي الى صدره.

ـ قرات... اشتريت... ساعات بل ايام... الطاولة.. الرفوف....

وعادت الابتسامة /النوبة...

ـ "مكاني مع شكسبير وفولتير والمعرى... كل شيء له ثمن ؟؟ وكاد ان ينسى الجد الذى دفع ثمنه لكتابه افكاره في سطور طويلة وعريضة نقلتها الجرائد الحكومية والثورية على التوالي.

ـ انا ثورى... تقدمي... مستعد

ان اصرخ في التجمعات المؤلفة من الالاف .المهم ان تحفظوا لي مكاني — لا تتعدوا عليه وساكتب عن المسحوقين انهم مظلومون... انا مثقف ثورى وتقدمي ركبت القطار واخاف ان انزل في المحطة القريبه اذا لم يحفظ مكاني" يجب ان يفهموا انني ضيعت حياتي من اجل ابي العلاء المعرى والمتنبي حتى تكت رموزهم ... حتى ... حتى اني صرت اقلدهم... وتعلمت الخطابة وصرت اضاهي.. اضاهي.. اضاهي.. آه.. نعم لقد نسيت.. ولي نظرة حياتية.. مستعد ان ابلورها كفلسفة تصلح لايامنا المشؤومة.. فلسفة اصلية ..نعم اصلية.. آه.. لو رايتم هذه المجلدات لاستطعتم تاليف معلقة ثامنة عن جمالها وهي مرتبة على الرفوف الخشبية البنية".

وتخيل نفسه يخطب امام جمع غفير:

— "لا .. انا لا ابالغ في حديثي ايها السادة فانا تقدمي والكل يعترف لي بذلك .اسالوا التقدميين الذين سبقوني هم . هم الذين اطلقوا على هذا الاسم. هم الذين وضعوني في القطار... لم اصعد لوحدي . لكن مكاني ... اين هو ... الكل جالس في القطار الا انا..." (الهذيان كالحلم ينقل الانسان بسرعة جنونية من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان).

الان يسمع صوت عجلات قطار والجمع الغفير انتقل اليه هذا القطار الذي بدا يرتسم في مخيلته. وبدا يتمايز الوجوه . الكل يجد مكانه الطبيعي بهدوء قاتل والقطار مسرع ولا يتوقف... لقد سمع مرة قصة ذلك القطار الذي يقف في المحطات ليصعد اليه من تضج ويسقط منه من لم يعجبه مكانه ... لكن هذا القطار غريب... انه قطار آخر لا يتوقف... كيف يصعدون اليه اذن؟ انه لا يستطيع ان يميز حركة الصعود ولكنه بالمقابل بدا يميز حركة السقوط ... انها واضحة بالنسبة له وصرخ:

—"ساعدوني. .لقد وصلت الى الباب .. الريح تريد قذفي.. ومكاني..؟ لا اريد لاحد ان يحتله. الساقطون يسخرون مني..اين انت يا ابا العلاء المعرى..اين انت ايها المتنبي.. هل بقي لي ان ادعي النبوة اذا ما نزلت من القطار؟".

حركة الصعود مستمرة بدون ان يتوقف القطار، انه زمن الصعود... والعرق يسقط من الجباه وكانه سيل مطر الشتاء... وتلك الملابس الزرقاء والخضراء ها هم... ها هم اصحاب القبعات البالية..

يستريحون..ابتسامتهم ليست نوبة..العرق يسقط من الجباه مثل سيل مطر الشتاء يحدث صوتا رتيبا وخلفيته الموسيقيه كالرعد تؤلفها كلمات بسيطة؟

يا عمال العالم اتحدوا؟

الرعد ينبه النائم... والكابوس ينبه النائم . ولكنه قبل ان يصحو من كابوسه حاول ان يصرخ ولم يستطع...حاول ان يرجع الابتسامة النوبة ولم يستطع. .وبدا جسمه يتحرك كالثور الهائج... اوقع الكرسي الملوكي والتطم وجهه في الرف الاسفل من المكتبه... فتح عينيه ووقع نظره على الكتيب ويحلق في العنوان ... وبدات الرجفة... كلمات العنوان تتجمع في دائرة ... امعن النظر واذا بصاحب القبعة البالية يظهر له من خلال الدائرة .الكلمات كالمارد الحبيس في قمقم علاء الدين وبدل القهقهة راى تلك الابتسامة العريضة..

— ليش انت متردد يا حضرة التقدمي؟

— لماذا تشدد على هذه الكلمة بالذات ضحك صاحب القبعة البالية وقال:

— لانكم تتمسكون بالكلمة اكثر من معناها ولا احد منكم يقول: هذا عامل تقدمي لاننا مش بحاجة الى هذى التسمية . احنا منعرف معناها. وانتم قاتلكم الوهم..والتسمية هي نيشانكم بيتتمسكو بالظاهرة وبتنسو جوهر الامور. (الهذيان مرحلة من مراحل الجنون المبكرة)

— "الظاهرة؟ الجوهر؟ اين الظاهرة الجوهر؟ اصطلاحات قراتها في القاموس ودرستها في الفلسفة — ماذا! ؟يريد ان يلقنني درسا في الفلسفة؟ اين انت يا ديكارت.. اين انت يا كانت... ويا هيجل..؟ اين انتم؟ لقد مرغتم في الوحل لم يبق منكم شيئا — يريدون تلقيننا الدروس في الظاهرة وفي الجوهر. الهذيان لا يعطيه الراحة. حاول ان يبعد شبح صاحب القبعة البالية من خلال البحث عن الابتسامة النوبة ولم ينجح في هذه المرة وبدا يفقد السيطرة على حركة اصابعه . ثم حركة الكف حركة الساعد فحركة الذراع فحركة الراس.. حركة الرقبة الخصر... الارجل حتى وصل الى حركة الدراويش المعهودة ثم المهتورة؟

— هيجل حي
كانت حي
ديكارت حي
نيتشه حي
زرعنا مي

(يبحث عن المكان المناسب)

وفجاة تنطبع الابتسامة النوبة ويختفي صاحب القبعة البالية وترجع الكلمات الدائرة لتصف في سطر مستقيم ويقلب الكتيب لكي يستمر في مرض الراحة النفسانية.

— زرعنا مي.. زرعنا هم

— "بل زرعنا التجربة" اتى الصوت كالرعد من خلفه، جعله يتسمر في مكانه ولم يملك الجراة لان يلتفت الى الوراء.

— "زرعنا جثث أمواتنا حتى انبتت الشوك الذى يمشي عليه اعداؤنا" اتى الصوت من الامام ولم يملك الجراة لان يرفع راسه ويجابه.

وبدا وجهه يتصبب عرقا. اهو خائف؟ ام خجل من نفسه؟ ام الغضب هو الذى يثير اعصاب الدراويش من امثاله؟ حاول تجميع قواه — بقيت جملة واحدة يقولها كي يفك حصاره ولكن الصوت الثالث حل ما جمع من قوة:

— وبقي ان تزرع الارض بكاملها بالحقيقة.

اتى الصوت كالصدى يملأ جو مختبره العلمي.

— من انت وماذا تريد؟

— انا هو صاحب الكتيب المهمل واريد شيئا واحدا: ان تضعني نصب عينيك

— وهل ساصل الى مكاني؟

— لكل مكانه. اذا راه وصل اليه. لا تنظر الى مكان غيرك . هذه هي نصيحتي.

واختفى الصوت.. وبقي ذلك الهذيان.

■ قصيدة لبرتولد برخت

ألرفيق.. أبو شهاب

اقصوصة يوسف طاهر العبيدي

هل تتلاشى تلك السنين، وتصبح نوعا من الذكرى؟ هذا شئ مستحيل، يعود بذاكرته الان الى تلك الليلة من عام ١٩٦٩ عندما اخذوه في تلك الليلة، ولا يريد ان يتذكر كل ما حصل، المهم انه نظر الى ساعته فكانت تشير الى الرقم "١٢" قبل ان يضعوا القناع الاسود فوق عينيه.

في تلك الفتره كان يعتبرنفسه "عاشقا جديدا". الايام تتوالى ونحن ننتظر غير مصدقين لواقعنا الجديد.. قال جدي ــ رحمه الله ــ في تلك الفتره سيحكمون سبعه ايام او شهور او سنين، ضاعت الايام وتبعتها الشهور، وصرخت حينها على البوح بسرى عبر السنين السبع..

قلت سيصحو كل نائم، وسيكبر من كان طفلا رضيعا ويعملها العرب..؟

لا يهم ما حصل في قاعة المحكمه. فقرار القاضي جعل الكل ينسى كل شي' كان سكينا غاص عميقا في احشاء الزوجة والوالد والوالدة وكل الاقربين..

"حكمت المحكمه على المدعو محمد عياد بالسجن الفعلي لمدة اثني عشر عاما"

صعقت والدته حزنا، وطفرت دمعتان على وجه والده الذى له من العمر سبعون اما زوجته فسحبت ثديها دون ان تدرى من فم الطفل ابن الشهر الواحد. وبكى الطفل الذى يدعى شهاب ورضع حليب الغضب والتحدى.

نهض ابو شهاب من نومه الذى كان يسرقه من وقته الذى لا يعرف النوم فيه. وخاصه الشهر الاخير من مدة محكوميتـه.

الزمن في المعتقل ليس كالزمن عندنا.. نحن نضبط الزمن، اما هم فمقياس الزمن عندهم بمدى عشقهم المستمر ونقاشهم المتاجج. شكلت لجنة خاصه لوداع ابو شهاب ولتنظيم الاحتفالات في الليله الاخيره.

كم تكون اللحظات صعبه وقاسيه عندما يفترق رفيق عن رفاقه. في هذه اللحظات تختلط السعاده بالحزن..

يود ابو شهاب لو يبقى معهم، ولكن اين يبقى، يود لو يستطيع اخذهم معه ولكن..

يصرخ لخروجه من السجن ولكنه يتالم لفراق اعز الناس عليه.. القيت القصائد والمقالات التي نظمها كل الرفاق الموجودين.

وما هو الا شي' يسير من الوقت ويغادر ابو شهاب هذا السجن اللعين الى وجه الارض الحزين..

اثنا عشر عاما.. صار شهاب فتى يافعا.. عرف الحقيقه كامله. عرف بان والده لم يكن في السفر كما اخبرته جدته. سال اخته الكبيرة هدى وحلفها بوالده اين يختفي والده..؟ في العمر الذى يمتد بين غرفته والساحه العامه كانت تنتظر مواكب المودعين تصطف على جانبي ممر سجن بئر السبع. كان الى جانب ابو شهاب اثناء سيره الضابط المسؤول عن السجن ومرافق له..

تتشابك الايادي.. من الافواه المغلقه يعلو الهتاف عاليا وبجرس موسيقي يبدأ النشيد، لم يكن هذا احتفالا ملكيا او جمهوريا.. على الرغم من انهم يطلقون في السجن على هذه الاحتفالات اسم "حوش شرف"؟

عندما يبكي الرجال قسرا.. عندما ترتسم الدمعة على وجه عاشق وتتدحرج من اعلى الخد حتى تتعلق بالذقن وتبقى متارجحة بين السقوط والبقاء عندما يكون ذلك تعرف انه ما زال يولد فينا عشق جديد..

كانت علامه الدهشه تبدو واضحه على وجه الضابط ومرافقه. اراد الضابط ان يبكي هو الاخر ولكنه لم يستطع

ووسط الزغاريد والهتافات انتقل الى غرفه رقم (٤) حيث ينتظر هناك عدد من السجناء لوداعه.

يوم الخميس كان هو مده انتهاء المحكومية، وابلغ اهله بذلك لكي ينتظروه خارج السجن..

توجهت والدته الى دائرة السجون ولكنهم اخبروها بان فتره السجن تنتهي يوم الجمعه وليس الخميس.. ابو شهاب يريد ان يبكي، ولكنه لم يكن له ان يفعل ذلك. اما رفاقه.. عندما كان يختلي لنفسه كان يشعر بشي' من الراحة، فيترك العنان لدموعه السجينة لكي تنهمر كحبات مطر.

الساعة الان تشير الى تمام العاشرة والضابط يشير بيده من خارج السجن راسما الطريق التي يجب ان يسلكها الطفل الجديد لكي يصل الى مركز مدينه بئر السبع..

الى الجنوب من السجن تمشي مسافه كيلو متر ومن ثم تصل الى مركز المدينه. بدا ابو شهاب بالسير ببطء شديد فوق رمال مدينه السبع..

اشياء كثيره تدور في مخيلته ولكن عدم قدوم اهله سبب له تفكيرا جديدا في السبب الذى منعهم دون ذلك..؟

طلبت منهم انتظارى امام بوابه

السجن وكذلك طلبت منهم احضار غيارات لي .. لا بد وان هناك شيئا قد حدث .. هل توفي احد ..؟ هل حصل لهم حادث في الطريق .. شعر بشيء من القلق يبدد كل ما رسمه.

وصل الى مركز المدينه وسال عن موقف السيارات المؤدي الى مدينه الخليل.

شعر بانه ليس غريبا في هذه المدينه، انه يشم رائحة الارض من خلال تلك المراه التي تمشي وراء دابتها ملتفه بعباءتها..

وصل الى الخليل وتوجه الى سيارات القدس. .في الطريق بين الخليل والقدس فتح نافذه السياره وجال بنظره فوق كل ما تقع عليه عيناه.. يريد ان يرى بعينيه كل شيء ولكن سرعة السياره تسبب له تعبا في اكمال الصور التي يحاول جمعها..

هناك منطقه في طريق القدس تدعى "تل بيوت" نزل في تلك المنطقه ليتجه بعد ذلك الى "جبل المكبر" حيث يقع بيته.

المسافه بين الشارع الرئيسي الذى يصل الى القدس في منطقه "تل بيوت" وبين ابو شهاب في جبل المكبر حوالى الفي متر..

مشى حتى وصل قرب مركز القوات الدوليه في جبل المكبر، شعر بشيء من التعب ، جلس وادار وجهه الى القدس، كانت تطل عليه — قبه الصخره — كعذراء وجلى من لقاء الحبيب..

مد يديه نحوها ليعبر لها عن شوقه الكبير.. كان الاقصى بقبته الفضيه يئن من آثار الحرق..

انهمرت دموعه وشعر بشيء من الدفء يدغدغ كل جزء في جسده..

مشى قليلا . اختلط عليه الامر، اين الطريق المؤديه الى بيته..؟؟

شوارع جديده فتحت، وحصون كثيره اقيمت، شعر بشيء من الاسى والحسره هل يتوه الانسان عن بيته..؟؟

هل يصبح غريبا عن ارضه..؟؟

نظر الى الوجوه — اثناء سيره — مستغربا، انهم هم..

سمع رطنتهم، وعرف بعد ان حاول الا يصدق..

نظر الى جهة الشرق ، لمح الخروبه التي عاش طفلا يلعب تحت ظلها.. نظر اليها وابتسم ، لقد كبرت..

لم تكن هكذا قبل السجن، انها صارت كبيره جدا.. انهم لن يستطيعوا قلعها..

اختار طريقه الى البيت وعيناه تحدقان بالخروبه لئلا تضيع من امام عينيه.



" انتظار "
للرسام مروان ابو الهيجا — طمرة

قصة

غسق

عبد الحكيم قاسم

الولد كبر ، ومن حق الولد على ابيه ان يؤاخيه ويخفض له الجناح ... الاب في الحق طيب وديع لين الطبع . لكنك لم تره زمــان . كان وحشــا كاسرا . كان يسير صدرا منتفخا ووجها جهما مشرعا وعينان مغمضتان كانما يزدري ان يريا شيئاً من هذه الدنيا .

كان ديكا شامخا او جملا مولدا حصــورا . يملك زوجتين رهبتي الدار . حينما تريانه فكانما سخنت الارض تحت اقدامهما فلا تستقــران في مكان . صيحاته تطاردهما ، تدفعهما تلقي بهما الى كل ركن . والدار مليئة بالعيــال والاجــراء والبهائم والدجاج . وهــو السيــد من فوق كل هذا . السيد الرهيب المزدحم الجوانب بالهياج .

لكنه صار طيبا . كيف كان هذا ؟ ربما بدا الامر بداية صغيرة . ربما كان ان خطا صغيرا وقع تحت بصره . إذ ذاك إرتعدت كل الفرائص ، إنقطعت كل الانفاس . توقفت كل القلــوب عن الخفقان . سكنت عناصر الدار في إنتظار وقــع الصاعقة . في إنتظــار ان ينقض الشيــخ على المخطىء بالعقاب .

والسيد التهبت عيناه البنيتان بالغضــب ، انتفخ صدره ثورانا والوجوه جامدة حائلة اللون كانها اقنعة معلقة على الجدران . ثم لم يحدث شيء لم يدوّ الانفجار المروع . لم يوقع بالمخطىء العقاب . والسيد استدار خارجا .

ربما كانت هكذا البداية . من يدري . من لا يزال يذكر . لا احد يرى الهباءة الاولى اذ تنزل راسبة على السطح اللامع . انما يفطن المرء الى ذلك حينما ينكسر بهاء صقاله ويعروه الغبش .

هكذا كان التسامح الاول . ربما . لكن ثمة شيء انزرع في كل صدر وبدا يكبر . هو شك . هو امل . يامل المخطــىء ان السيــد هذه المرة لن يلاحظ . ويرجو الا يثور . وقد يرجــح انــه لن يغضب . ويرى من الخير ان يتسامح .. لماذا ؟ ان على السيد في نهاية الامر ان يملك غضبه . هكذا كانت الهواجس المكتومة في القلوب توشك ان تخرج . فكل قلب به من الهم ما يكفيه .

وهكذا اصبحت للايام عصارى . واصبحــت العصارى طيبة رضية . يعلمون ان الاب جالس على المصطبة امام باب الدار . لكنهم يمــددون السيقان من تعب اليوم . ويســندون الظهور الى الحيطان .

ويدخل طفل حاجلا الى وسط الدار لاعبا بشقفة يدفعها بقدمه :

ـ اعملوا قهوة ...!

يكرر الكلمات ويبسطها . يفردها ويطويها . تتنهد الام . جسمها زاخر بالتعب واجفانهــا متهدلة وراسها مسنود على راحتها :

ـ قهوة لابيك يا بنتي ... اعملي معروف ..!

غمغمت البنت وتبرمت . تلكا الامر طويلا بين وسط الدار والكانون . حتى خرج الطفل حذرا ينقل اقدامه واحدة واحدة . رغم الحذر تهتز الكنكة وتراق القهوة حتى تصل الى يد الاب وقد فقدت ختمها المعقود على قومتها .

والولد جلس ـ مترددا ـ على طرف حصير ابيه الابيض المفروش على المصطبة . نظر الى ابيه بنصف عين . ثم اراح نفسه قليلا زاحفا على مساحــة اكبر من الحصــير . ثم ـ تصــور ـ ابتسم . بل لقد حدث انه ضحك . لو ان الاب زعق فيه لوقف قلبه . لكن الرجل ساله رفيقا :

ـ فيم تضحك ؟

ـ مدحني المدرس اليوم امام كل العيال ...

والاب رنا اليه ودعا له . والولــد فرح وكاد يقفز الى حجر ابيه لولا ان بقيــة من صولتــه القديمة ما زالت تملا القلب بالخوف .

لكنه كبر . اخشوشن صوته وتحملته شفته العليا بزغب ذهبي . جلس على حصــير ابيــه مطمئنا يسند ظهره للحائط ويمدد ساقيــه على اخرهما :

ـ ما اخوفني من امتحان هذا العام ... وتلك شهادة عامة .. !

وقال الاب متضرعا :

ـ الله معك يا بني .. !

يملا الولد جلسة العصر بالجهامة . عينــاه مركوزتان على بقعة غضبة امامه . الاب يخالس جهامة ابنه بنظرات قلقة متوجسة . فجاة يلتفت الولد جميعــا . ويبتســم الاب مراهنـا حائـرا صغيرا . يجيب الولد على ابتسامة ابيه بابتسامة فيها اعزاز وحنان . يتنــاول يده . يربت على نعومتها . يتحسس العروق سارحة في ظهرهــا متكسرة طرية .

تسرح نظرات الاب بعيدا : توغلان في المكان توغلان في الزمان . في الايام الغابرة . وينشــق الشارع عن عطار جوال . يحمل حقيبة ذات غطاء زجاجي يشف عن صفوف وصفوف من الزجاجات الصغيرة والاحقاق الدقيقة . الزيــوت والمراهــم والمساحيــق . الاسرار الغامضــة المحتــواة في الاواني المغلفة بالورق الشفيف الاخضر . وعلى مقبض الحقيبة تلتف اصابع الرجل بنية لامعة من تداول العقاقير . السبابة ينفرد حافظا الغطاء من الانفلات . كانما يشير مؤكدا على محتــوى الحقيبة .

عيون الاب تتحسس الزجاجــات الصغيــرة والاحقاق الدقيقة . فرح قديم ... خوف قديــم . رياح يضطرب لها القلب القديم . العطار معطف سابغ على قوام مرهف نحيل . وجه معــروق . مشية واهنة في ظلال الحيطان كانه وهم او سر :

ـ السلام عليكم

ـ ويشرق وجه الاب :

ـ وعليكم السلام ورحمة الله ... القهوة يا حضرة .. !

ـ الله يشرح صدرك !

ـ وحياة الحسين !!

ـ عزيز علينا الحسين ...!

فالعطار من هناك جاء . يا بن بنت الرسول . لا يزال ثمة مستراح للامل في الجنبات الفواحة بالعبير . هيام صوفي يكاد يدفع الدموع الى عيون الاب . والعطار يميل . يهمهم وهو يلم ثوبــه جالسا :

ـ لنــا نصيــب ... لا حول ولا قوة الا بالله .. !

سرى الخبــر في الــدار . وخرجــت القهــوة للضيف . لم يفارق همود العصرية . وساقا الام بقيتا ممددتين على حصيرها .

ارتفع الغطاء الزجاجي عن صفوف الزجاجات والاحقاق . فاح الاريج وانشرح الصدر وانثالت الخواطر الفرحة . غمس العطــار عود كبريــت خشبي ابيض في حق عنبر . اذاب غمسة سمراء لامعة في فنجان الاب :

ـ باسم الله يا حج ..!

امال الحج راسه يمنة ويسرة منغمــا طيبــة خاطره وفرحه .



ـ يا سيدي يا حسين مدد ..!

ابهام رجله تململ في المركوب ، سرت في جسده المترهل تموجات من الابتسام ، تموجات الدسم العائم ترتسم على سطح القهوة في الفنجان ، طعم واريج ورسومات غامضة تاسر المخيلة ، يقول الاب متوسلا :

ـ هل تكرمنا بان تاكل من زادنا يا حضرة .. ؟ لا نتكلف ضيفنا كما امر رسول الله ..!

ـ الحمد لله ..!

ـ وحياة الحسين ...؟!

ـ لا حول ولا قوة الا بالله ..!

دخلا الى وسط الدار ، وضعت الصينية الصغيرة من النحاس الاصفر بينهما ، على المصطبة ، لا احد يفهم شيئا ، الوجوه علامات استفهام متناثرة في اقاصي الاركان ، والسر يدور على نفسه ، يجمع اطرافه ، يتكور ، ينكمش في همس مخبوء بين الاب والعطار ، والعطار وجه حالم رفاف هضيم ، اصابعه طويلة نحيلة مبصرة قائلة مؤكدة ، ثم تستريح على الركبتين في سلام .

والحاج التفت الى اهل الدار صائحا بهم :

ـ هاتوا الوابور .. !

صوته القديم ! يا رب الاشياء جميعها ، لقد عاد صوته القديم وعاد معه الخوف منه ، كالنمل الذي داهمه الماء يهرع النساء والعيال والمعيز في كل اتجاه ، يتعثرون في البطات والدجاجات وتطير من الفزع الحمامات ، كلما تقابل وجهان ـ في التدافع المختلط ـ تلامست قرون الاستشعار ، ما هذا ؟ لا احد يفهم شيئا ، والصوت لا يزال يجلجل :

ـ هاتوا ملء كوز سمنا !

هاتوا ملء كوز عسلا !

ـ هاتوا ثوما !

ـ هاتوا حلبة حصى صرة محمصة !

ـ هاتوا ... هاتوا ... هاتوا ..!

كشفت جميع الاواني ، فتحت الصناديق ، حلت عقد الصرر ، انتابت الحمى القديمة جسد الدار بعد ان كان قد نسيها واستكان الى الترهل والهمود .

ثم فجاة يسمع وقع اقدام الابن الداخل من الباب ، كبر ، لم يعد زغبا ذلك الذي تحمله الشفه العليا ، انما خط اسمر ثقيل لا يهمس بل يقول امرا متعاليا ، رمق المشهد على المصطبة في لمحة ، وفي لمحة ادرك الحمى التي تنتاب جسد الدار ، هل اعاده ذلك الى طفولته الحبيبة ؟ يحس نفسه طفلا وهو يزحف متصاغرا ويجلس منكمشا على طرف الحصير يراقب في حذر ذلك السر المخبوء بين ابيه والعطار .

لكن الاب انكسر ازدهاؤه وزاحم بريق عينيه الغبش ، يتضاءل ، تطرف عيناه ناحية الابن في خوف ، ينكس الابن راسه غاضا بصره ، تهمي في داخله دموع دافقة ، لماذا يا ابي الحبيب ، لماذا يقدر علي ان اكبر ، لماذا يحدث احيانا ان يكون الابن اكثر طولا من ابيه ، وان يطرده ظله ، انا لا اريد يا ابي ، انا لا اريد .

العطار يتامل القدر على الوابور ، الاب ينقر بسبابته على ركبته في قلق ، اكتشفوا ان العطار يحمل في يده سلة كان يجب على كل حال ان تملأ بالخبز والفطير ، وانه في يده السمراء الممدودة ينبغي ان تدس ورقة عملة ، قال الرجل وهو ينهض واقفا :

ـ يبقى القدر على نار هادئة مقدار عشر دقائق ، ثم ينزل ويترك ليبرد ، ومن المطبوخ تتعاطى ثلاث ملاعق على الريق كل يوم ... يحصل المراد باذن الله ..!

ثم تسلل خارجا ، ترك وراءه بقعة من الصمت على ارض وسط الدار ، ابتسم الاب ابتسامة باهتة نظر الى القدر في ارتباك ، اراد ان ينزّله من على الوابور فلسعه النحاس الساخن ، امتص اصبعه خجلا ، قام الابن متمهلا الى الوابور ، انزل القدر اسرع يدير وجهه بعيدا ، شيء ما في عيني الاب دفع الدموع الى عيني الابن ، جاءت الام اطفات الوابور .

نظرت الى الاب متسائلة في عتاب خافت حزين :

ـ ما الذي يدور في راسك ..؟

لم يحر الرجل جوابا ، ينظر الى زوجته وعلى فمه ابتسامة طفل مرعوب ، قالت له امراته مواسية :

ـ لقد كبرنا ... ما عادت تجدينا حكمة الحكماء ... وليس لنا الا ان نرضى .. !

هل ضمرت قدم الاب فاصبح المركوب واسعا عليه .. ؟ يمشي يخب فيه الى مجلسه امام باب الدار ، خطوط ظهره محدودبة .

برلين الغربية ١٠/١/١٩٨١

زياد خالهوم

لقاء مع ميشيل خليفي حول فيلمه "الذاكرة الخصبة"

في البحث عن الكرامة المفقودة

شهد مهرجان السنما الاخير في قرطاج مفاجئة سارة للسينما العربية المعاصرة "الذاكرة الخصبة" فيلم فلسطيني اخرجه وأنتجه ميشيل خليفي شاب في الواحدة والثلاثين من عمره من مواليد مدينة الناصرة ويعيش الان في بروكسل تكاليف انتاج الفيلم بسيطة نسبيا وتنسجم بشكل مدهش مع بساطة أسلوبه التعبيرى. خلاصة انسانية صافية ومجردة من التكليف والتجميل المصنع الذى تدهن به شركات السينما العالمية أفلامها لتزيد من اغرائها ومن امكانيات تسويقها في السوق العالمية. ان يكن في " الذاكرة الخصبة " اغراء فهو ذلك الاغراء الغير مكترث الذى تراه يندفع من اجساد أولاد الفقراء والذين لا يزينهم كساء غير انسانيتهم الحية والعارية.

وقد احفه المهرجان بجائزة النقاد الاولى وفتح بذلك الابواب امام مختلف الاهتمامات والنقاشات حوله في شتى انحاء العالم السينمائي. كما كان لفوزه بجائزة الكاميرا الذهبية الثانية في مهرجان "كان" الدولي أثره في ازدياد الاهتمام العالمي به.

يصوّر الفيلم جوانب مختلفة من حياة امرأتين فلسطينيتين، لواقعهما المتميز دلالات عامة على واقع الشعب الفلسطيني الرازح تحت نير الاضطهاد الصهيوني. رومية حاطوم، امرأة عجوز تعيش في قرية يافة الناصرة تكدح في المصنع وتقوم باشغال البيت المضنية وترفض تحسين وضعها المادى عن طريق بيع أرضها المصادرة من قبل الحكومة الاسرائيلية. ترملت من زوجها الذى نزح الى لبنان اثناء حرب ١٩٤٨ وكانت آنذاك في مطلع شبابها. رفضت الزواج بعده وكرست حياتها لاعالة ابنائها وتربيتهم على عنادة الايمان بتقاليد شعبها، بتراثه وبكرامته. سحر خليفة، امرأة في سنوات الاربعين من عمرها تعيش في مدينة رام الله مع ابنتيها بعد أن طلقت زوجها والذى اتهمته بالعقلية الشرقية التقليدية المضطهدة للمرأة، كفرها بالمؤسسة الزوجية التقليدية يرغمها على دفع الثمن غاليا. الملاحقة الاجتماعية والعزلة الخانقة فبقى منفسها الوحيد في اعمالها الادبية المتمردة والتي تفيض بالمرارة والحيرة والمعاناة.

ينطلق الفيلم من هاتين الشخصيتين ليعالج قضية اكثر شمولا هي قضية الاضطهاد بمختلف أبعاده والتي قد تتراوح ما بين الحالة الشخصية والواقع العالم: الاضطهاد الصهيوني للشعب الفلسطيني، اضطهاد الرجل الفلسطيني لامرأته، اضطهاد المرأة لبناتها ولاولادها الخ.. يتركز الفيلم في واقع المرأة بشكل خاص ومن خلال ذلك يتخطاه الى ما هو أبعد منه: فيلقى الضوء بذكاء هادئ على مجمل الواقع الانساني، فيصوّر بشاعرية دافئة شريحة من حياة يستحيل حصرها في اى قالب تحليلي كان. له شكل قسيفساء حية مؤلفة من صور واصداء تدعو العقل الى الشعور اكثر مما تدعوه الى التحليل البارد والمنطقي. "الذاكرة الخصبة" هو فيلم انطباعي ناضج اساسه الذكرى والحب الذى يغنيها. وهو قول بان الحس الانساني العاشق هو افضل دليل لتلمس الحقيقة البشرية باعمق صورها وأدق تركيباتها.

عرض الفيلم في كلية بير زيت وفي المركز الثقافي البلدى في الناصرة لاقى ترحيبا كبيرا. أهم من ذلك أنه أثار الكثير من النقاشات المتحمسة والتساؤلات المرتبطة مباشرة بواقع شعبنا والذى يأخذ فيه لاول مرة شكلا سينمائيا جادا وصادقا.



من مواليد مدينة الناصرة ١٩٥٠.
حصل على شهاد في الاخراج المسرحي والتلفزيوني من المعهد القومي العالي لدراسة فنون العروض في بروكسل عام ١٩٧٧. قدم أطروحة نهاية الدراسة عن الادب والثقافة عند العرب في اسرائيل.
عمل في المسرح كمساعد للمخرج الفرنسي روبير جيرونيس في مسرحية "القصر في الحقول". وقدمت على المسرح القومي البلجيكي موسم ٧٤/٧٥ وفي مسرحية "السلطة البيضاء" في باريس عام ١٩٧٥.
كما أخرج على الفيديو فيلما تجريبيا كعمل نهاية الدراسة بعنوان "حدود" عن قصة قصيرة للكاتب الفلسطيني اميل حبيبي. وعمل في التلفزيون البلجيكي كمساعد للمخرج ميشيل جاكار في فيلم "بدوان المناجم". كذلك قام باخراج العديد من الريبورتاجات للتلفزيون واخرى للراديو.

كيف تحولت هذه الفكرة الى فيلم ؟

يقول ميشيل خليفي :

بعد ان انهيت دراستي السينمائيه في بروكسل تمركز اهتمامي بامكانيات القيام بعمل سينمائي هنا في بلدى مع ناسي ومجتمعي . وكان السوءال الذى يفرض نفسه علي : كيف نقوم بعمل من داخل شعبنا يكون مساهمة ابداعية على صعيد السينما العالمية ؟ كيف يدخل شعبنا بشخصيته الاصلية والمتميزة ليشترك بما عنده في بناء اللغة السينمائية في العالم ؟

طبعا هذه تساوءلات تطورت من خلال تساوءلات اخرى ترتبط بالعنصر الاول الذى طرح نفسه على العمل هو موضوع معين ـ الاضطهاد . وكنت قد احترت ازاءه،شيء احسه بقوة واتصعب فهمه . كفلسطيني ابتداءات اعيشه منذ ولدت ـ في سنوات الخمسين . علموني ـ وكنت اشعر فعلا ان الاضطهاد الاكبر،هذا الرعب المروع كان مصدره : الاسرائيلي ونظامه . رحت اتامل مضطهدى (بكسر الهاء) عن قرب محاولا استكشافه بملموسيته وتجريده . . . فوجدته انسانا ؟ واكثر من هذا فهو يحمل خلفية تاريخية قريبة مناجدا . في هذا القرن فقط عاش الشعب اليهودى مجزرتين مرعبتين ـ مذابح روسيا القيصرية وحرب الاباده التي شنتها المانيا النازية ضده .

المسالة بدت محيرة جدا ؟ جلادى ليس انسانا فحسب وانما ضحية ايضا .

وكيف للضحية ان تصبح جلادا ؟ هل من المعقول ان يكون الانسان ضحية وجلادا في ذات الوقت ؟ هل انا كذلك ؟ والشعب الفلسطيني هو الاخر هل هو ضحية فحسب ؟ ام انه يحمل هو الاخر الجلاد في داخله ؟

والجواب الذى لا مفر منه هو ان شعبي ايضا يحمل بعض مظاهر الجلادين . لكن الامور نسبيه وتختلف فبيننا جلادون في تعاملهم مع العمال والفلاحين ومع النساء والفتيات وهلم جرا . . . طبعا يجب اخذ الامور بنسبيتها المعقولة : الام التي تصفع ابنتها صفعة لا يمكن اعتبارها مضطهدة بنفس مستوى الاضطهاد البيغني او الهتلرى . المقصود هو استكشاف نظام انساني نحمله في داخلنا . . استكشاف العلاقة التي تربط بين صفعة عدوانية من اب لابنه وبين قنبلة تلقى فوق روءوس البشر . نظام الاضطهاد هو الذى يعنيني . حرب السبعة والستين ما زالت اهم حدث اثر في مجرى حياتي فقد عشتها بصوره قطرية كهزيمة شامله ما زالت تلاحقني حتى الان . انا المهزوم طبعا ولكن هل هذا بفضل انتصار المنتصر ؟ ضربونا قتلونا شردونا . . . ولكن ما الفائده من اللف والدوران حول الهزيمة وحول الظالم فيها ؟ لا شك عندى من هو الظالم . والعالم كله يعرفه . فالاهمية العملية هي ابعد من ذلك : الحاجة الى الغوص في عمق الهزيمة ومن ثم تفجيرها . هناك حاجة لنظرة من داخل المجتمع، من داخل الهزيمة . النظرة الى التغيير، الى الثورة، الى المستقبل، هناك حاجة للتحرر الداخلي، تحرر الفرد وتحرر المجموع من خلال علاقتهما الجدلية الوثيقة .

هذه التساوءلات ساقتني الى الدرجة الاخيره في سلم الاضطهاد ـ الى درجة الصفر حيث المراءة والطفل . فتناولت قضية المراة ليس لانها أهم من قضية الطفل وانما لاني كنت بحاجة الى قرار ما . فكان فيلما عن المراءة وتطور حتى صار فيلما للمراة . . . من اجلها .

مع ان الفيلم يصور المراءه الفلسطينية كانسانة مضطهدة (بفتح الهاء) فهو لا يعرضها كمسكينة او كبائسة ولا يستعطف من اجلها . اعتقد ان الغياب العام للرجل عن الفيلم يساعد في خلق هذا الانطباع كذلك المواقف التي تظهرها كمضطهدة (بكسر الهاء) لاختها المراءه، لابنتها او حتى لنفسها . . .

. . . حتى داخل نفسها داخل جسدها داخل كيانها تبقى مضطهدة (بكسر الهاء) هذه هي قمة الاضطهاد ـ الاضطهاد الذاتي . هذا الذى حال دون ان انظر للاضطهاد كقضية بوءس وانما كعنصر من عناصر الطبيعة البشرية . على شكلها الحالي طبعا . كل شيء هو ضمن الطبيعة ولكن حتى على الطبيعة يمكن التأثير والتغيير . المهم هو الاقرار بان هذه الاشياء تعيش داخلنا وتفرض علينا حدودنا . دعنا نتصور للحظة مشهدا شاعريا تقوم فيه البشرية ذات يوم لتنزع الخوف من داخلها ولتقرر الاضراب الكلي عن العمل . وان كان لا بد من الموت، فلتواجهه بكرامة . عندها لن يكون مجال امام الانظمة الاقتصادية العالمية سوى ان تهدم نفسها وان تتنازل عند ارادة الناس . لكن الصوره مثاليه جدا ومستحيلة . هذا يعني اننا نحمل في داخلنا حددوا متعددة المصادر : الخوف، الحب، الكراهية والجنس . . الخ . . . يجب النظر الى الاشياء بكل تشابكاتها وتعقيداتها . لذا رفضت ان اتناول في فيلمي نقطة واحده اطل من خلالها على الامور . فتركت للحياة امكانية فرض نفسها على الكاميرا وعلى الشاشة، تركتها تتفجر كما تتفجر يوميا . اعدت ترتيبها لتفجيرها واعطاء المشاهد صورة مضجعة عنها لكي يتساءل ويناقش، لكي يشترك في استنباط مفهوم الفيلم ويبدع في قراءته .

اساس اخر من اسس الفيلم : لا يكون الاضطهاد الا اذا مس الكرامة الانسانية . اذا ضربتك وكرامتك لم تهن عندها لا اكون مضطهدك اما اذا نظرت اليك نظره شعرت من خلالها بان كرامتك تمس فلن تنسى لي هذه الاهانه مدى العمر . والقضية الفلسطينية هي مشكلة كرامة انسانية اكثر منها مشكلة ارض . هذه الاخيرة ما هي الا التعبير الخارجي عن هذه الكرامة . فالانسان الفلسطيني الذى بقي في بيته وفوق ارضه لا يشعر باضطهاد اقل من هذا الذى شرد عنها . يقولون للفلاحة الفلسطينية : خذى ارضا بدل ارضك خذى تعويضا "ماديا" او لنسهل عليك الهجرة الى كندا . اسرائيل مستعدة لدفع اى ثمن، تظن ان الكرامة الانسانية تشترى او تستبدل . اما العناده الانسانية السليمة عند انسانة مجروحة الكرامة فهي حائل دون ذلك . مهما حدث فانها لن تبيع ارضها لان كرامتها مرهونة فيها .

من جهة اخرى بدأت الكثير من النساء في مجتمعنا

نشعر بان نظام العلاقات الابوية مع الرجل موجه ضد كرامتهن . اعدادهن تزداد يوما بعد يوم . والذى لا ملاحظة هذا التطور الهام فانه يطمس رأسه في الرمال اذن نطرح الامور كما هي مطروحة في سنوات الثمانين من هذا القرن . فهذا هو البديل الوحيد امامنا لكسر العلاقة الاتباعية وراء الغرب . طبعا مع الاستفادة من كل التجارب الانسانية المتراكمة حولنا . اليوم يطرح العالم قضية المراءه ، قضية الحرية الجنسية قضايا النضال الطبقي ، النضال الديموقراطي الخ ... لماذا لا نشارك في هذه القضايا كما هي مطروحة اليوم في العالم ؟ ما الداعي للوقوع ثانية في تجارب خاضتها شعوب أخرى بعد ان اكل الدهر عليها وشرب ؟ ؟

... عند رؤية المقاطع – في الذاكرة الخصبة التى تصور الشخصيات وهي تقضي سهراتها امام المسلسلات التلفزيونية تذكرت مشاهد مشابهة من فيلم جودار "هنا وهناك" وقلت لنفسي كم ان قضايا العالم هي واحدة وان اختلفت مظاهرها . قضية النظام التلفزيوني . التسلط المركزى الالي على حياة الانسان ، هذا المحراب الحديث الذى اسمه التلفزيون ، قضيتنا بقدر ما هي قضية انسان المجتمعات الصناعية اله مستورده ولكنها طاغية على حياتنا بقدر لا يقل عن طغيانها على حياة مواطني الدول التي تنتجها . ربما ان مجتمعنا بسبب واقعه الحضارى الماساوى الخاص قد استوعبها بشكل اكثر انحلالا وتعفنا منه

... العالم يصغر يوما بعد يوم . والاقتصاد العالمي يربط العالم بعضه ببعض ويقضي على كل المجتمعات الاقتصادية المستقلة اى الهويات الوطنية المختلفة . نلبس بناطيل الجينس اكثر فاكثر ، نحلق بشفرات جيليت ونأكل همبورجر . يتصاعد توحيد العالم وتماثله . تنزل اسواق لندن او نيويورك لعبة المكعبات فسرعان ما تجدنا جميعا نلعب مع كل العالم بلعبة المكعبات ...

من بين مختلف المشاعر التي اثارها الفيلم شعور خفي بالقلق ، انطباع عام بان قضية الاضطهاد هـ قضية لا نهائية ، لاخلاص للانسان منها لانها تشكل ديناميك حياته . واقع كوني او ميتا فيزيقي ينبعث من حتمية الموت التي لا حول للانسان اما مها ، فهل قصدت اثارة مثل هذه المشاعر ؟

... مثل سحر في ابداعها الادبي كانت تعمل بشكل معين وتشعر بالسحق والاضطهاد . وعندما عملت بشكل اخر وجدت ان عطيها يمكن ان يكون وسيلة ابداع . لا اعتقد ان هذه المشكلة هي ميتا فيزيقية . بل على العكس انها مشكلة مادية وملموسة . هناك عده اشياء لا يمكنك الافلات منها ان شئت هذا ام ابيت – لانها تشكل ديناميك حياتك . الضجر مثلا ليس مسالة ميتافيزيقية بل يومية وملموسة ، حتى التفكير فهو شئ ملموس التفكير الميتافيزيقي هو بلاغة



ميشيل خليفي اثناء تصوير «الذاكرة الخصبة»

ليس الا ما دمنا ننطلق من الواقع الانساني فالحقيقة تكون اكثر مادية حتى اذا ما ذهبت بها بعيدا اى نحو الحلم والتغيير فالحلم رغم انعدام ملموسيته الا انه مادى . وتفجير الواقع من خلال مشكلة الكرامة هو تفجير لحلم معين ، هكذا تأخذ الاشياء ابعادها الحقيقية – ابعادها اليومية . فلا يبقى الاضطهاد على الشكل البيتوتي وانما يتعداه حتى المؤسسة العائلية . لنمط التفكير الانساني حرية الامتداد اينما شاء ، هذه هي الخصوبة . "الذاكرة الخصبة " هي الذاكرة المفجرة التي تحمل صورا من ماض ومن حاضر يتداخلان ببعضهما البعض ، تستمر الصور من الذاكرة وتعطيها انسانية اعماقها الى حضارات ماضية واتيه ، وتفجرها فتخصبها .

هذه هي الحاجة للاصالة والتعمق في تناول قضايانا . خذ مثلا مسالة التغيير ، فنجد انه لتغيير واقع معين لا بد لك من التنظيم . ولكن التنظيم بحد ذاته يخلق هرم سلطة رغما عنا . هذه طبيعة المكونات الانسانية فهناك من يصرخ اكثر من غيره وهناك من له طاقة على عمل معين اكثر من غيره وهكذا . وعندما يتصلب الهرم على شكل تقسيم مدرج للسلطة تعود مسالة التغيير لتطرح نفسها ثانية . الذين يقبعون في قاع السلم سيبحثون عن سبل للتغيير . ومن اجل ذلك سيعيدون تنظيم انفسهم .. وهكذا .. ظاهرة صحية لانها ديناميكية وتجديدية . عندما نطرح مسالة الكرامة الانسانية والاضطهاد لابد لنا من طرح مسالة السلطة لان العلاقة بين السلطة والاضطهاد هي علاقة صحية .



التقاليد والمؤسسات الاسروية

يبدو انك تخطيت تعاطفك الاساسي مع المراءه الضحية الى عاطفة ابعد منها وكأن اكتشافك للجلاد والذى في المرأة لم يأت بعد تصوير الفيلم وانما من خلال العمل نفسه وربما توقعته من قبل . يوحي اليّ الفيلم بأن الكاميرا لا تقف مع المراءه بحد ذاتها وانما مع الانسان بكونه انسانا .

(ج) اولا قررت تصوير الناس التي احبها واتعاطف معها . وعندما هبطت مع الاضطهاد والى درجة الصفر لم اكن اقصد تصوير فيلم بائس وانما طرح مشكلة الكرامة الانسانية . حاولت روءية الجدلية الكامنة في داخل الانسان البائس لاءعرضها عليه . فانا افرض بانه لن يستطيع التحرر من الاوضاع الخارجية المقيدة دون ان يتحرر من تلك الاضطهادات التي يحملها في داخله . يجب ان يلاحظ العلاقة الجدلية التي تربط داخله بخارجه .

يقول ماوتسي تونغ ما مفادة انك اذا دفنت بيضة وحجراً في الرمل الساخن او اقعدت فوقهما دجاجة تلاحظ ان البيضة قد تتفجر عن حياة صوص بينما يبقى الحجر حجرا .

هذا لان العوامل الخارجية تتفاعل مع العوامل الداخلية في البيضة لاعطاء الحياة للصوص ولا تتفاعل مع الحجر سوى على ابقائه حجرا .

(س) الانتظر للمضطهَد (بفتح الهاء) كبائس . في نظرك الشعب الفلسطيني هو شعب مضطهَد (بفتح الهاء) ولكنه ليس بائسا؟

(ج) يمكننا النظر اليه نظرة بوءس ورثاء . فالبورجوازية الفلسطينية انطلاقا من عقدة الذنب الطبقية تنظر الى فقراء شعبنا والى قضيتهم نظرة بوءس . ولكن الفقير الفلسطيني الذي ليس لدية ثمة شيء يخسره غير كرامته نظرة كهذه تغيظه .. فهو يعتبر نفسه كريما واذا اتيت اليه ضيفا قد يذبح لك الدجاجة الوحيده التي يملكها .

(س) النظره الفنية او السياسية التي تحول قضية الاضطهاد الى قضية بوءس وتستجدى بذلك العطف والدموع - عدا كونها موقفا دعائيا فهي نظرة طبقية ...

(ج) نظرة طبقية بالتأكيد . لا يهمني ان كانت دعائية ام لا . فكل شيء يدعو بعض الشيء الى نفسه . المشكلة كامنة في كون الدعاية انية تنتهي بانتهاء ظروفها . اذا شئت ملاحظة البوءس فاذهب اليوم الى اوروبا وستجد بوءسا عظيما

واذا حدثت الناس عنه فسترى بوءساء العالم الثالث يقهقهون في وجهك مدهوشين : عاطل عن العمل في اوروبا ويتقاضى معاشا يضاهي معاش وزير في دولتنا؟؟ لكن هذا لا يعني ان المشاكل الانسانية التي يعاني منها الاوروبي تقل باهميتها عن تلك المشاكل التي تواجه انسان العالم الثالث . مع انها من طبيعة مختلفة : فالاشياء في نسبيتها ؟ فمن المفضل اذن اتخاذ المحور الانساني كنقطة انطلاق لمواجهة اى موضوع انساني كان فالقضية الفلسطينية تحمل ابعادا انسانية لا حدود لها ولكن هذا لا يعني تفضيلها عن غيرها من قضايا . كل مشكلة انسانية في العالم جديره باحترامنا كقضيتنا . يقول ايزنشتاين : انك تستطيع الوقوف على جميع تشابكات الواقع الانساني من خلال قطره نوى تتاملها جيدا . فما علينا الا التخلص من عقد النقص التى تكبلنا ونفتح افكارنا للنظر الى الامور بنظرةٍ واسعة وجديده .

(س) من قراءة معينة للذاكره الخصبة "يمكن ملاحظة موضوع مثير مميز على طول الفيلم : جدلية العلاقة بين المحافظة والتحرر . من جهة ، امراءه محافظة على ذكرى زوجها ، على عقليته ، محافظة على الارض ، على التقاليد على بيتها وعلى اولادها . من جهة اخرى ، امراءه تحررت من زوجها ومن عقليته ، من عملها التقليدى كامراءه عربية من بيت الزوجية ، من التقاليد ، الخ ... سحر خليفة التي من المفروض انها المراءه " المتحرره " لا تبدو حره " على الاطلاق . بل مقيده حتى الخنق بين جدران بيتها وابوابه ونوافذه . مضغوطة في عالم كله ثقافة وكتب وافكار جائرة خصوصا وانها ملاحقة بالنظره الاجتماعية العامة والتي تقيد كل خطواتها وتحول حياتها الى جحيم يدفعها لان تتوق الى تفجير العالم على من فيه ؟ بينما نلاحظ بان رومية حاطوم " المراءه التقليدية " تبدو امراءة اصيله مستقلة ومليئة بالحيوية والنشاط . تبدو حرة باتخاذ قراراتها ومواقفها . يمكن الادعاء بانها تستمد هذه " الحريه " من التصديق والموافقة الاجتماعية المسبقة لمواقفها التقليدية المنسجمة والمتماثلة مع معتقدات شعبها . فبما انها تحمل هذه المعتقدات في اعماقها فانها تبدو حرة اصيله خلاقة كأن الحرية والاصالة مرهونتان بالانسجام الاجتماعي وكأن التمرد والثوره تمنحهما الانفصام والعزلة العاقره ؟ .

كيف ترى على ضوء هذا طبيعة العلاقات بين المحافظة والتحرر ؟

(ج) القضية تقع بين نظامي تفكير . رومية حاطوم تتمسك بالتقاليد ، تحمل تناقضات داخلية وتعيش منطقا لا عقلانيا وفي هذا كله فانها قابلة لنفسها كما هي وتجد توازنا في هويتها الانسانية . هكذا تعيش وهذه هي ايمانانها . بداخلها تعيش الفلسفة الحضارية التي وراءها امها ، جدتها ، ام جدتها ، جدة جدتها الخ .. حضارة الشعب المتراكمة . هذا لا يعني ان سحر خليفة هي من "طينة" اخرى ولكنها تختلف عن رومية بانها قطعت علاقتها مع هذا الوجود الحضارى والتفكير اللاعقلاني الذى هو جزء من التفكير الانساني ، تفرض على نفسها تفكيرا عقلانيا ماديا ترى من خلاله ان لكل شيء قوانينه الخاصة والمحددة . وهذا الشيء يحصرها ويفرض عليها واقعا متناقضا : بما انك تعرفين منطق الاشياء وعلاقاتها فلماذا لا تتحررين اذن؟ تقول بأنك تملك كل شيء لكي تتحرر ومع هذا فانت لا تتحرر ؟

وضع كهذا يوءدى بك الى ابعاد انتحارية انفصامية او الى سحق داخلي . هذا لا يعني ان التفكير العقلاني ليس صحيحا .. بالعكس .. بالعكس .. اقصد اني حاولت خلق انسجام معين للتغيير . نرى مثلا في العالم الثالث عامة وفي العالم العربي والاسلاميّ خاصة فالانظمة تضع امامنا بديلين لا ثالث

لهما: اما الرجوع الى اصالة انتهت منذ ثلاثة عشر قرنا وهذا بحد ذاته تناقض. فالاصالة هي في الحاضر ابدا مع نظره تاريخية للمستقبل. فالرجوع الى الماضي لا يمكن ان يكون الا تقليدا واجترارا: والبديل الاخر هو قبول التعفن الحضارى للانظمة الغربية الذى يفرض تعفنا فينا. قد لا يكون هذا تعفنا في اوروبا ولكنه تعفن اكيد فينا لانه لا يصدر عن اصالتنا. فهذا ايضا احتمال متناقض. تقف ازاءهما ولا تعرف ماذا تختار. انت مسحوق داخليا وخارجيا فاين المخرج؟

هذه هي مشكلة الشخصيتين: التفكير العقلاني وهذا اللاعقلاني. لا يمكنك ان تختار الواحد دون الاخر. فانت تفقد الكثير من نفسك اذا قبلت باختيار سحر وان اخترت طريق رومية فسوف تكون راضيا عن نفسك ولكنك لن تبدع.

المهم هو: كيف نعيد اكتشافنا لذاتنا دون الانسلاخ عن هويتنا والضياع في هوية غير موجوده؟ كيف نغني الاكتشاف الذاتي بنظره على تجارب الاخرين؟

(س) تقصد بان الفيلم يطرح تساؤلات حضارية؟..

(ج) نعم، الفيلم يطرح تساؤلات حضارية وخصوصا مسألة الاصالة التي تعني اعادة اكتشاف الذات من خلال التجارب الانسانية المحيطة. والنتيجة يجب ان تكون منسجمة وليست منفصمة... بدون انفصامات؟

(س) هل ترى في نظرية التطور الحضارى الغربية مراوغة او تمويه بين تطور تكنولوجي من جهة وبين تطور انساني حضارى من جهة اخرى؟

(ج) بالطبع لا شك ان الغرب متطور جدا من الناحية التكنولوجية. ولكن ماذا نقول عنه من الناحية الانسانية ...؟؟؟ الذى يفجّر خلال ثلاثين سنة حربين عالميتين نتيجتهما ادت الى سقوط عشرات الملايين من الناس كيف يمكن اعتباره متطورا من الناحية الانسانية؟

والذى يستعمر العالم ويستعبد الشعوب ويؤسس النظريات العنصرية... عن اى انسانية يتحدث؟؟ من هذه الناحية على الاقل ليس لدى الغرب ما ينصحنا به حتى حروباتنا الداخلية والخارجية فقد فرضت علينا من قبل الغرب...

(س) .. وتفوقه في الحروب يبدو تفوقا للتكنولوجيه اللا انسانيه خذ مثلا براعة الطيارين الاسرائيليين ودقتهم في اصابة اهدافهم. بارعين حقا ولكن بماذا؟ بالقتل والتدمير والقنبلة النيوترونية، ياله من اختراع تكنولوجي عجيب ويالها من فكرة جنونية وانتحارية؟

(ج) هنا تكمن اهمية بعث الطاقات الانسانية التي نحملها فنطرحها كتحدى امام التكنولوجيا الغربية. ردود الفعل الغربية على الذاكرة الخصبة تدل على هذا الاتجاه. لقد اعتبروه درسا في الانسانية.

(س) لا شك انك اكتسبت خبرتك التكنولوجية في السينما الغربية كما حملت معك من الغرب ازمته الانسانية. هل تظن ان ردود الفعل الغربية على فيلمك تدل على ازمة في السينما الغربية المعاصرة؟

(ج) اعتقد ان الازمة تفتك بالفكر الغربي كله. خذ مثلا اقبال الشباب الغربي الواسع على حضارات العالم الثالث، هنالك تعطش لما يمكن ان ندفعه للعالم من عندنا ولما يمكن ان نشارك به في بلورة شخصية انسانية جديده. وهذا يتطلب منا نظره هادئة الى انفسنا نظرة غير متعجرفة، غير مغرورة. فالعالم كله مدعو وباستطاعته الاشتراك في هذه العملية، الكونغولي والارجنتيني والفيتنامي والسويدي الخ... كل حسب خصوصيته الانسانية. ليس الهدف قلب الدفة ان يصبح الشرق غربا والغرب شرقا..؟؟ هذا لا يمكن ان يكون حلا...

(س) اذا اخذنا اليوم عالم السينما او التلفزيون فاننا نلاحظ بان معظم الانتاج العالمي مفرغ من اية انسانية حقيقية. ولا تتعدى كونها سلعا استهلاكية تجتر الملل والعفن والسحق النفسي. خصوصا ان الذى يسيطر على وسائل انتاجها ـ سواء كانت على شكل ملكية خاصة او ملكية حكومية ـ هي انظمة الاضطهاد والاستغلال المركزية في العالم. ولكن بجانب هذا كله وربما في قلبه وكرد فعل عليه تجد تراثا فنيا غنيا يتعاظم يوما بعد يوم بفعل جهد مئات والاف الفنانين المبدعين والمتمردين الذين استغلوا بدورهم وسائل الانتاج نفسها ولكن للتعبير الفني الابداعي اى للتغيير والثوره. فباخذك لتكنولوجيا السينما من الغرب الاتعتقد انك اخذت معها تراثها الفني ايضا؟ لنحدد اكثر: الم تتأثر بشكل او باخر بفناني السينما الغربية؟

(ج) طبعا تاثرت بالتفكير الطليعي والثورى في الغرب وفي العالم عامة، هذا التفكير الذى هدفه خلق نظره جديده للانسان، تحرير اللغه وتحرير الفكر. واذا اردنا ذكر اسماء معينة فقد تاثرت مثلا بالحس الانساني وثورة العاطفة التي يحملها المخرج الياباني كوروساوا. تاثرت بشاعرية بازوليني الفكرية وبحريته اللغوية في التعبير وبارثرين في عنف العاطفة التي قد تصبح احيانا جسمانية وبجودار في قوه فكره التحليلي. تاثرت بكل هذا وتركت للتاثيرات التي يمكنها العبور الى داخلي بان تعبر. ثم جئت الى مجتمعي لاعطيه امكانية التفاعل معها ومعي وسوية صنعنا الذاكره الخصبة.

(س) لنتدقق اكثر في الموضوع حتى وان بدينا مبالغين بالريبة والتحسب. الا يمكن ان تكون علاقتك بهؤلاء الطلائعيين السينمائيين تحمل شيئا من ابوية ثورية؟ او شيئا من استعمارية ثورية نلاحظها تسود احيانا العلاقات بين ثوريي الدول الراسمالية وثوريي العالم الثالث؟ شيئا من استعلاء ثورى قد يحمله الثوريون الغربيون تجاه ثوريي العالم الثالث والذين قد يعتبرونهم احيانا متخلفين ثوريا؟؟

(ج) لا.. علاقتي بهم ليست كذلك.

(س) هذا هو ردك على الذى يدعون بان فيلمك اتى ليرضي ذوق فناني ومثقفي السينما الغربية؟

(ج) عندما تقوم بعمل تعتبره عملا فنيا وليس سلعة استهلاكية، فانك لا تطرح السؤال: من هو جمهورى؟؟ وانما تحاول ان تمس انسانية معينه قد تنجح بذلك وقد تفشل.

لقد قوبل فيلمي بالترحيب العام في اوروبا وفي غيرها من الدول . هل تريدني ان ارثي لذلك حظي التعيس ؟؟؟ . . بل على العكس فانا مسرور لردود الفعل هذه ، على اية حال فانا اعتبر تحاوري مع الغرب على مستوى المشاركة والمساواة، انت تقوم بعمل للغرب اذا نظر عليه هذا نظرة ابوية . اما اذا فرض الفيلم نفسه عليهم فرضا دون ان يستطيعوا احتواءه باى شكل من الاشكال . فماذا يعني هذا ؟؟

من جهة اخرى اعتقد بكل تواضع ان فيلمي هو فيلم جيد فلماذا يا ترى تعتبر الاوروبيين جديرين اكثر منا بالعمل الجيد ؟ هذه بالضبط هي الفكرة العنصرية الصهيونية التى تريد اقناعنا بان العمل العربي هو مرادف للعمل الردىء . فكر استعمارى من رواسب الفكر التطورى الذى فرضه الغرب على دماغنا. لا يجب ان تثق بنفسك بمجتمعك وبحضارتك . انت جزء من عالم وتحمل بداخلك كل ابعاد الواقع الانساني . من هذا المنطلق عليك ان تخاطب العالم وان تخاطب نفسك . . خصوصا نفسك يجب ان تخاطبها من هذا المنطلق .

(س) من هذا المنطلق ايضا تعتبر ان فيلمك ليس موجها للمثقفين فقط كما تدعى بعض الناس ؟

(ج) نقطة الانطلاق الاولى لبناء الفيلم كانت ـ العواطف الاولى : الفرح الحزن ، الغضب ، التحدي ، الثوره الخ . . . اذا نجحت بتصويرك الواقعي لام تهلل لابنها وتبكي فانك تمس المشاعر الانسانية ـ وقد تبكي المشاهدين . وعندما تطرح قضايا فكرية للحوار فانت تدعو المشاهد للتفكير ـ وان نجحت في ذلك فانك تجعله يفكر . اما اذا لم تشاء البكاء او التفكير فماذا تريدني ان افعل ؟ ان اجرك الى الجنة جرا ؟؟

ليس من المفروض على الانسان ان يكون ضليعا في تاريخ الفن لكي يستحسن صوره جميلة فهو يحسها جميلة والمسالة تنتهي بالنسبة اليه هنا . من جهة اخرى اذا اتاك مثقف معلقا بان هذه الصوره مستوحاه من عالم رنوار الفني فقد تكون نظرته صحيحة وله كل الاحترام على سعة اضطلاعه وثقافته . ولكن هذا لا يعني بانه رآها اكثر جمالا من الذى استحسنها دون ان يلاحظ انها تشبه عالم رنوار .

باستطاعة كل انسان ان يقرأ قراءه ابداعية ما شاء من الفيلم . هناك قراءات تتخصص بجوانب وابعاد تختلف عن غيرها من القراءات . هناك قرارات سينمائية متخصصة وهي قد تثير متعة خاصة لقارئيها ولكنها لا تلغي متعة قراءه المشاعر الاولى التي هي اساس الفيلم .

من جهة اخرى ارفض حذو السينما الاستهلاكية التي هدفها ارضاء المتفرج المسكين فانا احترمه ، اطرح عليه فيلما يحترمه وانتظر رد فعله . فاذا اثار الفيلم نقاشا عندها تكون فرصة لتبادل الاراء : يعمق المشاهد فهمه وحبه للسينما واعمق فهمي وحبي له .

(س) ما الذى حدد شكل الذاكرة الخصبة ؟ الواقع الذى تعالجه ؟ ام انك كنت تملك مسبقا قالبا معينا اقتنعت الواقع داخله ؟

(ج) عادة ما تكون العملية الابداعية احساسا داخليا يبحث عن نفسه في الخارج . كتبت السيناريو وانا اعرف انني ابحث عن شيء ما لا اعرف شكله الكامل . وكنت اشعر بانه سيكون شيئا اصيلا . كنت اعرف اني اود تصوير مشهد الكعك بهذا الشكل ومشهد كت الصوف بهذا الشكل . . ولكن ماذا سيكون الشكل العام للفيلم . . ؟؟ . . لم اكن اتصوره . على اية حال فقد كنت ازاء تجربة سينمائية وانسانية .

(س) هل ترى السينما كوسيلة استكشاف للواقع ؟

(ج) نعم . . عندما اصبح عجوزا فقد استعملها كوسيلة لكسب العيش . . . اما الان فهي ما زالت وسيلة اكتشف الواقع بها ومن خلالها .

(س) تفجير الواقع هو الذى احدث التفجير في لغتك السينمائية ؟

(ج) عندما فجرت الخط الروائي اتحت للشخصيات امكانية تفجير تعبيرها، حاولت ربط المساحة الذهنية للشخصيات بمساحتي الذهنية، بمساحة المشاهد الذهنية . تفجير الخط الروائي يعني ايضا تفجير تراث كامل في السينما العربية . لهذا اخذت بعين الاعتبار تجارب السينما النضالية والتي اعتبر فيلمي من ضمنها يستمد خلفيته منها ويحاول اغناءها عن طريق تفجير حدودها الحاضرة هي الاخرى وهذه عملية نضالية اخرى . وهي عملية صعبة جدا . عندما جئت الى بلدى لاصور الفيلم كنت اقول لنفسي : كل الذى اريده هو تصوير فيلم يكون تعبيرا كاملا عن فكرى . وليس اكثر . فقد كانت محاولة لاكتشاف ذاتي من خلال مجتمعي ولمجتمعي من خلال ذاتي .

(س) ما هي علاقتك بالمحاولات التقدمية الاخيره في العالم لتطوير اللغة السينمائية ؟

(ج) اهتم كثيرا بكل نظره تعتبر اللغه السينمائية نظاما يجب تفجيره . فهذه المحاولات شجعتني واعطتني الثقة بنفسي وبالاشياء التي كانت تتبلور داخلي . يجب ان استمر على هذا الايقاع فانا ما زلت في عملية اكتشاف. عملية الابداع لاتتوقف . وهي مستمره ما دامت الحياة مستمره . . .

هناك مشكلة اواجهها الان وهي خروجي عن نطاقي الانساني وتحولي الى رمز اجتماعي محدد . يضعونك في اطار معين ويتوقعون منك اعمالا محدده . فاذا استطعت ان اخذ بعدا معينا عن طلب الاخرين مني، فربما وجدت انسجاما داخليا وتوازنا في شخصيتي . . امل ان ابقى ابن الناصره البسيط الذى يحب الناس والناس تحبه . . هذا رغم تحولات الدهر عليهم وعلي .

(س) هل ترى في الابداع والاصالة الجواب على التحدى الحضارى الذى يواجهنا ؟ هل هي الطريق الى الحرية ؟

(ج) بدون اي شك . يقول احمد فؤاد نجم ما معناه : خلى الكلمة تفوت . ولكن كيف تخليها تفوت ؟ لما تهز التوت . واذا هزينا التوت والتوت ما سقطش ؟ فيقول لك : اضربها بالنبوت . واذا بدكاش تضربها فاشرب صبغة يود . هذا يعني اذا بدك تبدع ابدع واذا بدكاش فموت . كل مجتمع او كل انسان يهتم باستمرارية الحياة لا مفر له من الابداع واذا لم يبدع فهو ينتحر .

بقية مقال اسامه محاميد

(ص٥٩) ولا يحقد على اليهود ــ ردا على سؤال المحقق له ان كان يكره اليهود يقول: "اكره جنود اسرائيل" (ص٢٠)، بينما في المقابل يؤكد القاضي في محاكمة مروان العكاوي: "انا اكره العرب" (ص٥٢)، فترد عليه المحاميه اليهوديه الشيوعيةــ التي ترمز الى الفئات التقدمية والعقلانيةفي الطرف الاخرــ بقولها "انت تكره اليهود ايضا" (ص٥٢).

توظيف التراث الشعبي

ان عنوان الروايه يرمز الىالتجربه اليوميه التي يمر بها المعتقلون الفلسطينيون داخل السجون او كما يسميها الكاتب "تراكمات الاسمنت والحجارة والفولاذ" (ص٥٩)، متضمنة اصناف العذاب والتحقيق، والنفي من هذا السجن الى ذاك، والى جانبذلك تحفل الرواية بمجموعتين متكررتين من الرموز الاخرى المتناقضةــمن جهةهناك تعابير تؤدي دلالات ايجابية تبشّر بالخير والامل والتفاؤل، مثل احواض الزهور، القرنفل، اللوز، السنابل، الجبال، البحار، النجوم، الشموس، المهرة، الحمائم، والعصافير ومن جهة ثانيه هناك تعابير اخرى تؤدي دلالات سلبيه، تنذر بالشر والتشاؤم، وتعبّر عن الظلم والقهر والاحتلال، مثل، انكسار، القنديل، الشوك، الريح، الصحارى، الصخور، الطواريس، الافاعي، القطط ــ الكلاب والبئر.

اما اللغه في الرواية فهي في الغالب لغة شاعرية رقيقة مشحونة بالمعاني والدلالات الجمة، لغة قصيرة في جملها وتراكيبها، تخلو عادة من اللهجة العاميه الا في ما اقتضت الضرورة وجودها. اما الظاهره الاسلوبيه التي تسترعيالانتباه والتقدير فهي توظيف الكاتب للامثال الشعبيه واستفادته من اداء وظيفتها الايحائية والجماليه، ومن مساهمتها الفعاله والمؤثره في عملية التوصيل لدى المتلقي. وقد جاءت هذه الامثله متدفقه على لسان الراوي، الذي هو البطل، وغيرهمن الشخصيات، لتزخر بالزخم الدلالي، مما اغنى الرواية من عبء السرد التقريري المباشر في العديدمن الحالات ففي مطلع الرواية يسوق الراوي عشرات الامثله التي تصور الشعور المتناقض بالقدريه او المقاومة تجاه الاحتلال الانكليزي، مثل "حط راسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الرؤوس"، "من بره هالله ومن جوه يعلم الله" او "الموت ولا المذلة"، "الموت يا طالب الموت". اذ لا شك ان هذه الامثال تلعب دور المنظم للظواهر والاحداث في نفس الانسان الشعبي وبالتالي "تبث في نفسه الطمانينة وتمدهبشعور ذاتي بالسيطره على المصير" (٢). كما يوظف الكاتب ماثورات اخرى من التراث الشعبي كالاناشيد والاغاني والحكايات الشعبيه (ص٨، ٢٠، ٣٥، ٢٦، ٤٥، ٧٤). ويستخدم الكاتب ضمير المتكلم في روايته مستفيدا من المونولوجات الداخليه واسلوب تيار الوعي، ويتخذ الراوي زاوية المشرف الكلي المعلق على الشخصيات باعمالها وافكارها. وقد اوقع هذا التكنيك الرواية، في اكثر من مرة في مزالق التقريرية مما اعاق تقدم وتطوّر الاحداث.

ان رواية "المفاتيح تدور في الاقفال" تشكل شهادة حقيقية منمصدر اول عن واقع الناس تحت الاحتلال، بعذاباتهم وآمالهم وهمومهم، وتعتبر خطوة راسخه وجديدة بالاهتمام في مجال الرواية الفلسطينيه في المناطق المحتله.

اشارات:

١) علي الخليلي، المفاتيح تدور في الاقفال، منشورات صلاح الدين، القدس١٩٨١

٢) د. مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي مدخل الى سكولوجية الانسان المقهور، الجزء الثاني، معهد الانماء العربي، بيروت ١٩٧٦، (ص ٢٤٩).

بانتظار القصيدة

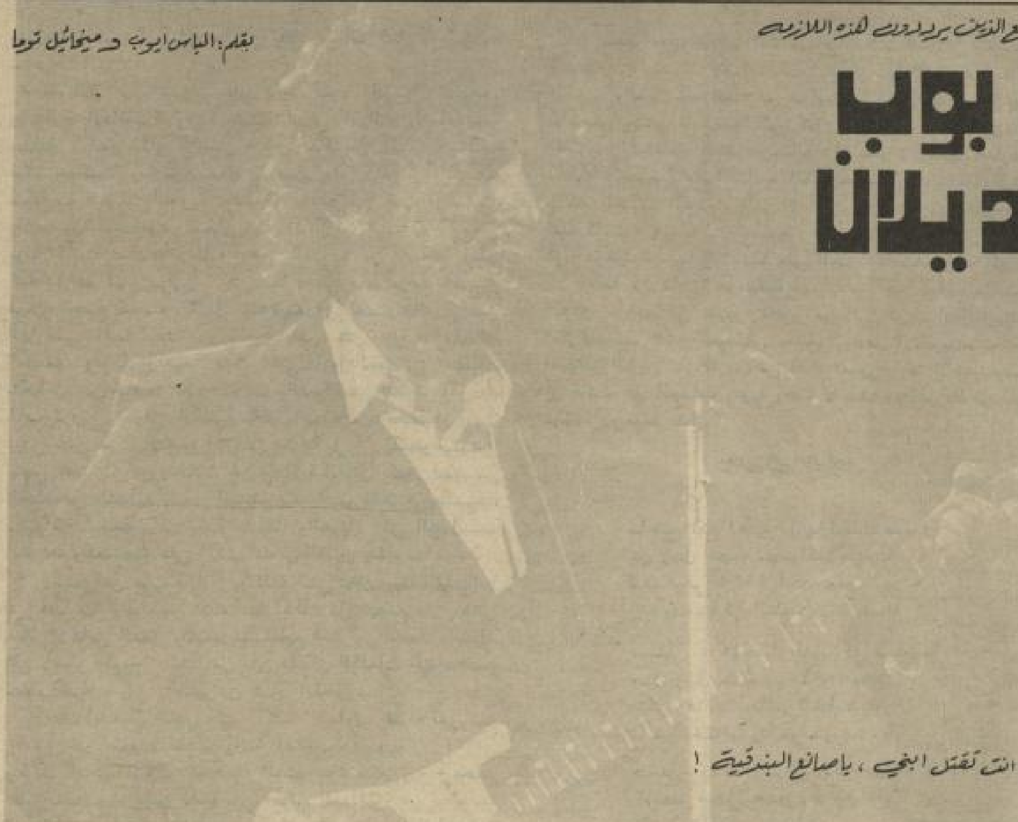
هاتف الجنابي

بانتظار الخطى،
ما هي تختفي،
بانتظار الكلمات، ما هي ذي تهرب الان،
تترك شكلا تدحرج بالغيم والثمر المر، باطلالة فارغة
بانتظار المحطات فارغة،
حيث اسمع وقع السنين، بطيئا بطيئا
يغادرها
والليالي حديد ثقيل ثقيل يكبلها
وانا واقف، اصرخ الان فيها واندبها
واقف عند ابوابها المستعصيات،
اراها باكمامها البالية،
وبخنجرها الذهبي
بيدين حريريتين،
ووجه بنيّ.
تركتني هنا في ظلال الخطر والغبار
بانتظار النبوءة والزمن المهرجان،
فعلى جبل شاهق
اوقد الان نار الكلمات
وانثر في الطرقات خطاي
عاريا، عاريا
مثل طفل عربي
بانتظار القصيدة والنهار الشقي

مع الذين يرددون هذه اللازمة

بوب ديلان

بقلم: الياس ايوب و ميخائيل توما



انت تقتل ابني ، يا صانع البندقية !

ولد بوب الين زيمرمان في ٢٤ أيار ١٩٤١ في "دولوث" في ولايه سينيزوتا الامريكيه. انتقلت عائلته الى "ميبين" عندما كان في السادسه من عمره. في الثانيه عشر من عمره بدا يعزف على القيثار. وكون عدة فرق موسيقيه خلال دراسته في الثانويه قبل ان يذهب الى جامعه سينيزوتا سنه ١٩٥٩ حيث اختار له لقبا فنيا هو "ديلان" نسبه الى اسم الشاعر "توماس ديلان" وقد بقي هناك حتى سنه ١٩٦١ حيث انتقل الى مدينه نيويورك .

حالما وصل الى نيويورك بدا يغني في انديتها الفولكلوريه. وكانت عنده رغبه جامحه ليقلد المغنين المتجولين . ثم راح يتقرب الى حلقه الفولكلور النيويوركيه والتعرف على أشهر المطربين فيهامثل جاك اليوت وسيسكو هدستون اسوة بما يفعله باقي المطربين الشباب .

لبوب ديلان شخصية جذابه وله اسلوب معبر في الغناء رغم ان اسلوبه في البدايه لم يكن مصقولا بصوره جيده وكان صوته جميلا بتدانقه واهتزازاته وبحّته . لقد مكث هناك في الحلقه الفولكلوريه عدة اشهر قبل ان يحظى باهتمام الاوساط الفنيه . كان حلم بوب الكبير هو النجاح

وقد اغتنم اول فرصه سنحت له ليعزف على آله الهارمونيكا في احدى الاسطوانات لأحد المطربين البارزين وهو "هاري بيلا فونتي" وقام بنفس العمل في البوم "كارولين هيستر" وقد تعرف عليه البرت كروسمان عندما رآه يعزف في احدى المناسبات مما اثار اهتمامه وجعله يوقع معه على اتفاقيه للعمل المشترك . ومنذ ذلك اليوم اصبح كروسمان المسؤول عن ادارة الاعمال الفنيه لبوب ديلان وبدأت بذلك رحله الشهرة .

في البدايه كانت اغاني بوب مبهمهومملة وكان يغني بصوت أجش وبطيء لا يتلائم وروح الموسيقى السائده في تلك الفتره . لكن ما يميز اغانيه هو التجديد والعذوبه في الالحان . لقد شعر بوب ديلان في بدايه حياته الفنيه بأنه يحمل رساله اجتماعية يجب عليه ان يؤديها وينقلها بواسطه فنه . وفعلا منذ بدا حياته الفنيه راح يتجول في طول البلاد وعرضها ليحارب الاشرار ويوبخ الاغنياء واللاباليين .

وكانت له موهبه خلاقه باجاده التعبير ووصف الحقائق التاريخيه في جمل مبسطه حيث استطاع ان

ينقل الماضي الامريكي باغان هي بمثابه اغان روائيه تدعى " البلاده "

اطلق بوب ديلان على نفسه لقب "الرسول الشرير والمهرج الغاضب" وهذا وصف طبيعي لحالته ولاسلوب حياته . فهو ذلك الانسان الذى قدم من الغرب لابسا قبعه وجاكيت وملابس مهمله ويحمل على كتفه قيثارته ليحارب الظلم والحرب والضياع والشر في قلب الانسان والاحابيل السياسيه والنفاق في الادعاءات الدينيه . اغاني بوب كانت صادقه للغايه وهي ماخوذه من الواقع فمثلا "بلادة هو ليس براون " هي عباره عن قصه مزارع فقير فهش الجوع معدته فاستل بندقيته في لحظة يأس واطلق النارعلى نفسه بعد ان اقدم على قتل زوجته واولاده الخمسه . وكذلك اغنيه " موت هاتي كارول الموحش" التي تتحدث عن خادمه عجوز ضربت بالعصا حتى الموت على يد شاب ثرى . . . وفي الاغنيه يطلب بوب من الجمهور ان لا يبكي على موت العجوز او على فقرها بل ان ينتظر حتى ينهي قصته . . . ويتحدث عن محاكمة القاتل وكيف اصدر الحكم في النهايه بسجن المتهم ستة اشهر فقط ثم يطلب بوب من الجمهور ان يبدا بالبكاء والعويل على العداله الضائعه والمنتهكه على ايدى الناس الذين يمثلونها .

لقد آمن بوب ديلان بالكلمه التي تقال وبفاعليتهااذا هي اصابت الاحاسيس الانسانية لذلك كان يهتم بان يعطي لنصوص الاغاني العمق والبعد لتستطيع اختراق الجسد والنفاذ الى اعماق الروح . لقد امن بان فقدان الكلمات الهادفه معناه فقدان الشيء الكثير من جمال اللحن .

خلال عمله الفني غير "بوب " اسلوب غنائه ففي سنه ١٩٦٤ غير اسلوبه القديم واتبع اسلوب" البوب " "POP" ولذلك ادخل الالات الحديثه المكهربه لتلائم روح العصر لقد اقتنع بينه وبين نفسه بان اغاني الفولكلور هي" موضه قديمة" لا تصلح الا للتعليم في معاهد الموسيقى اما مايتطلبه العصر فهو موسيقى حيه . . . "والبوب" كانت موسيقى العصر،فيها امكانيات واسعه للتعبير وبها صور واشكال باهره انها عالم رحب لامكانيات العزف. عدا عن ذلك فيها يستطيع ان يحارب ويهاجم ويهزأ ويتهكم من احاسيس المتحجره الناس بشكل افضل .

تغير بوب ديلان كثيرا في فترات حياته . ففي البدايه كانت اغانيه مليئه بالامل وكانت مفصله للناس الذين بامكانهم ان يعملوا ويؤثروا بالامور . . . للناس ذوى التفكير العميق كانت اغانيه تتحدث عن الشعب البسيط المظلوم الفقير وتندب العداله الضائعه . . . وكانت تتمحور جميعها حول سؤال واحد وهو " هل يوجد من يهتم

اما الاغاني التي تلت ذلك والتي لم تكن شخصية فقد كانت في اغلبيتها هادفه . فهي تتحدث عن الضياع وتعرى نفسيات الانسان الذى يركض متهالكا وراء المظاهر الخداعه وكانها هي السعاده بعينها وكانت الاغاني عندها تتمحور حول السؤال " ايها الانسان ما هوشعورك الداخلي ؟؟" .

اما في البوماته الاخيره فنراه ينطوى على نفسه اكثر وبدا يبحث عن الدفء في الالحان وفي الكلمات التي يقولها لنفسه .

يعتبر بوب ديلان احد دعاة السلام البارزين . وقد اصبح رمزا وقدوة لالاف الشباب الذين ارادوا الثوره على مظاهر الخبث والرياء المتاصله في شرايين طبقة واسعه من الشعب الامريكي والتي لا يهمها شيء سوى نفسها . لقد عادى بوب الحرب الفيتناميه القذره وتضاله دام سنوات وتمثلت معارضته باقامه المهرجانات الغنائيه الشعبيه وباثاره النقمه والرفض لهذه الحرب الدنيئه التي لا تمت للانسان الامريكي بايه صله كانت . وقد كانت لجهوده ابعد الاثر على تكتل جبهه قويه فرضت نفسها وارادتها على الجهاز السياسي الحاكم .

اما من ناحية موسيقية فهو يعتبر احد كبار الملحنين الذين ساهموا في تغيير وتطوير موسيقى الروك العالميه . لقد تحولت هذه الموسيقى بفضله وبفضل الاخرين،مثل البيتلز الذين تاثروا به،الى اداه تعبير فائقه الاهميه بعد ان كانت في البداية رتيبه ومسله لا يتعدى تاثيرها عن انها موسيقى جميله فقط .

رجل في الطريق

ساغني لكم اغنيه ،انها ليست طويله . .
عن رجل عجوز لم يرتكب خطيئة
كيف توفي ؟؟؟ لا احد يعلم . . .
وجدوه ميتا في الطريق يوما ما . . .

حسنا . . . تتجمهر الناس في صباح ما
حول رجل ملابسه وحذاؤه ممزقه . . .
متكيء هناك بجانب الحائط . .
توقفوا وحدقوا وتابعوا دربهم . . .

حسنا . . . جاء شرطي ونظر حوله . . .
"انهض ايها العجوز والا سجنتك "
لكزه مره واحده بهراوته
وتد حرج الرجل العجوز على الارض
لكزه مره اخرى وصرخ عاليا . . .
"هاتوا عربة الموتى . الرجل ميت" .
وجاءت العربه . . . ادخلوه بها . . .
ولم ار ذلك الرجل ثانيه

غنيت لكم اغنيتي انها ليست طويله . . .
عن رجل عجوز لم يخطيء ابدا . . .
كيف توفي ؟؟؟ لا احد يعلم . . .
وجدوه ميتا في الطريق يوم ما . . .

اسياد الحرب

تعال انت يا سيد الحرب
انت الذى يصنع كل البنادق
انت الذى يرسم خطط الموت
انت الذى ينتج القنابل الضخمه
انت الذى يختبيء وراء الجدران
انت الذى يستتر وراء المكاتب

اريدك ان تعلم فقط
بامكاني ان اراك من خلال قناعك .

انت الذى لا شغل لديه
سوى ان تبني لتهدم ...
انت تلعب بعالمي ...
وكانه لعبتك الصغيره ...
وضعت بندقية في يدى
واختبات من وجهي ...
وهربت بعيدا بعيدا ...
عندما انطلق الرصاص ...
مثل يهوذا القديم ...
انت تكذب وتخدع ...
حرب عالميه ستكون انتصارا
اتريدني ان اصدق ذلك ؟؟؟
لكني ارى من خلال نظراتك ...
وارى من خلال تفكيرك
مثلما ارى خلال الماء
الذى يجرى في مصرفي

انت تحكم الزناد ..
للاخرين كي يطلقوا النار ..
وتعود لتختفي ولتراقب ...
وعندما يرتفع عدد القتلى
تختفي في قصرك ...
بينما ينزف الشباب دماءهم ...
واجسادهم مدفونه في الوحول ...

انت تبعث فيّ الخوف الاكبر
الخوف من انجاب الاطفال ...
الى هذا العالم ...
لانك تهديد لابني ...
الغير مولود ... والغير مسمى
انت لا تكترث حتى للدم
الذى يسيل في عروقك ...

دعني اسالك سوءالا واحدا ...
هل اموالك هذه جيده ...
هل تشترى لك الغفران ؟؟؟
اظن بانك سترى ...
عندما يداهمك الموت ...
ان كل الاموال التي كدستها
لن تبعث روحك ثانيه .

وآمل ان تموت
ويكون موتك قريبا
ساسير خلف نعشك ...
في المساء الشاحب
وساراقبك عندما تنكس
الى داخل سرير الموت
وساقف فوق قبرك ...
حتى اتاكد بانك ميت فعلا ...

جون براون

ذهب جون براون الى الحرب ليحارب في شاطئ غريب
امه بالتاكيد كانت فخوره به ...
وقف منتصبا بملابسه العسكريه وعدته ...
وانفجر وجه امه بضحكة مصطنعه
"اوه يا بني كم تبدو رائعا انا سعيده لانك ابني ...
تجعلني فخوره عندما تحمل بندقيه ...
افعل ما يقوله الكابتن ـ ستنال مداليات كثيره ـ
وستعلقها على الحائط عندما تعود الى البيت"

عندما تحرك القطار القديم بدات ام جون تصرخ ...
كل شخص بالحاره ...
"هذا ابني ـ انه على وشك الذهاب ...
انه جندى الان ... اتفهمون ؟؟؟
لقد جعلت الجيران يفهمون ذلك بكل تاكيد ...

استلمت رساله كل فتره ... ووجهها تفجر بالبسمات ...
وقرات الرسائل للناس المحيطين بها ...
وتفاخرت بابنها وثيابه العسكريه وببندقيته ...
ثم انقطعت الرسائل عن الوصول ...
لمدة طويله لم تصل ...
انقطعت لمدة عشرة اشهر واكثر ...
وفي النهاية وصلت رساله تقول ...
"انزلي واستقبلي القطار ...
ابنك عائد من الحرب" ...
ابتسمت ونزلت راسا ...

وبحثت في كل مكان ...
لكنها لم تشاهد ابنها الجندى ...
لكن حالما مر الجميع شاهدته اخيرا ...
وعندما تاملته لم تصدق ما تراه عيناها ...
اه .. وجهه كان مشوها ويداه مبتورتان ...
ولبس درعا حديديا حول صدره ...
همست شيئا بصوت لم تتعرف عليه ...
في لحظه لم تستطيع ان تتعرف حتى على وجهه ...
اه ياربي .. حتى انها لم تتعرف على وجهه ..."

اوه اخبرني يا ابني الحبيب ...
اخبرني ماذا فعلوا ؟؟؟
كيف حدث واصبت بهذا الشكل ؟؟؟"
حاول ان يتكلم لكن فمه تحرك بصعوبه ...
وكانت الام مرغمة لان تخبيء وجهها بعيدا ...

"الا تذكرين يا ماما عندما توجهت الى الحرب ...
لقد حسبت انها افضل عمل ساقدم عليه ...
كنت في ساحة الحرب ... وانت كنت بالبيت تتفاخرين ...
لم تكوني هناك معي واقفه على حذائي ...
اوه .. وفكرت عندما كنت هناك ...
يا ربي ماذا افعل هنا ؟؟؟
احاول ان اقتل شخصا ما ان اقتل نفسي ؟؟؟
لكن ما ارعبني كثيرا هو عندما التحمت الجيوش
وتبينت بان وجه عدوي هو نفس وجهي ...

صدر أخيراً

محاضرات في الفاشية
بالميرو تولياتي

اصدرت مطبعة ابو رحمون في عكا المحاضرات في الفاشية التي القاها زعيم الحزب الشيوعي الايطالي الراحل بالميرو تولياتي في القسم الايطالي من مدرسة لنين في موسكو في العام ١٩٣٥.

وقد عربها انطوان صيداوي واصدرتها اول ما اصدرتها دار الفارابي في بيروت بمقدمة بقلم عضو المكتب السياسي في الحزب الشيوعي اللبناني جورج بطل.

والكتاب يشمل ايضا ترجمة مقدمة بقلم غاس مول سكرتير عام الحزب الشيوعي الاميريكي وكان كتبها للترجمة الانكليزية.

وتوكد المقدمتان العربية والامريكية اهمية هذه المحاضرات ازاء محاولات الرجعية المجنونة لانتهاج الاساليب الفاشية في ضرب العملية الثورية في قطريها وغيرهما.

ويبلغ عدد المحاضرات ثمانية من ابرزها: "السمات الاساسية للديكتاتورية الفاشية"... "وحزب البرجوازية من "طراز جديد" "...و الحزب القومي الفاشي.

وتثبت المحاضرات المقولة الاكيدة وهي ان الفاشية الديكتاتورية لاكثر قطاعات راس المال الاحتكاري رجعية".. وان البرجوازية تلجا اليها حين لا يبقى في مقدورها الحكم باساليب دمقراطية برجوازية.

والكتاب يقع في ٢٢٨ صفحة من الحجم المتوسط وقد صدر اول ما صدر في ايطاليا في العام ١٩٧٠ وبعد ذلك صدر في فرنسا والاتحاد السوفيتي والمانيا الدمقراطية والولايات المتحدة.

من اغاني الشهداء
ياسين حسن

هذه مجموعة قصائد الشاعر الاولى وهي بخطه وتقع في ١٠١ صفحة من القطع الصغير وتشمل ١١ قصيدة قسمها صاحبها الى قسمين عنون الاول: "من اغاني الشهداء" وعنون الثاني: "خرابيش بنفسجية عن خريف ازرق"

والكتاب اصدرته دار الاشراق في طمرة وتم طبعه في مطبعة ابو رحمون

وتبرز هذه المجموعة من بين المجموعات الكثيرة التي نزلت الى السوق بتوافق المضمون والشكل وبشاعرية صاحبها ومكانة قصائده.. وهذا يظهر مثلا في هذا المقطع من القصيدة "بلا عنوان":

"فلسطين
عيونك مثل هذا العشب تخضر
اذا لف الربيع الكون بالالوان
وتذوى ان اتى الاعصار
والامطار.. والطوفان
فاذكر وجهك المشطور
خلف وشاحك الازرق
يناديني كسنبلة..

وغابت شمس الامل
احمد سعد خضر

هذه رواية ينتسب كاتبها الى قرية بئر المكسور في الجليل صفت وبوبت في مطبعة فراس (الناصرة) وطبعت في دار الاسوار في عكا.. وصمم غلافها فنان من كفر قاسم: عبد التمام.. وهي تقع في ١٦١ صفحة من القطع الصغير..

يفسر صاحبها اختياره موضوعها وهو الحب في هذا الزمن.. زمن الحرب والدمار والصراع العنيف.. فيكتب: "اننا بحاجة الى حب بعضنا البعض حب زوجاتنا قبل الزواج وبعده، فهذا الحب يستمر ويودي الى انشاء اجيال صالحة رضعت من لبن الحب

والامل. لبن الصمود والتصدي، لبن امهات مخلصات

"فحتى يتحقق هذا الامل يجب ان نقضي على الطفيليات الضارة.."

لا نعتقد ان هناك حرجا على الكاتب ان يعالج هذا الموضوع في هذا "الزمن الحراشي" على حد تعبير الكاتب الجزائري الطاهر وطار.. ولا داعي الى الاعتذار.. فالموضوع الذى اختاره الكاتب يستحق اهتمام الكتاب والشعراء وعلماء الاجتماع والسياسيين.

✖✖

اطفال بلا طفولة ومسرحيات اخرى
احمد حيات

هذه المجموعة من المسرحيات الموضوعة بلغة دارجة تقع في ١٢٩ صفحة من الحجم المتوسط وتشمل مسرحيات "اطفال بلا طفولة" و"الخطيئة الشرعية" و "متسحر مايصوم".. وقد صمم غلاف الكتاب كاميليا خطيب.

مواضيع المسرحيات اجتماعية واقعية

ولكن هذا لا يكفي.. فهناك عناصر لا بد من اعتمادها حتى تصبح المسرحية فنية وجمالية.. ومع هذا فهذه المجموعة تضم الى المحاولات الجارية لكتابة مسرحيات محلية.

اغاني الشمس والزيتون
راضي عبد الجواد

هذه المجموعة الشعرية صدرت عن منشورات دار الجماهير في القدس.. وصمم غلافها الفنان الفلسطيني كامل المغني.. وهي تقع في ٩٥ صفحة وتشمل ٢٣ قصيدة..

وتبدو في هذه المجموعة معاناة صاحبها، الذى اقضى في السجن ثلاث سنوات ونصف السنة كما تشع فيها روحه النضالية المتفائلة

فهكذا ينشد في قصيدته "بطاقة ميلاد"

"اليك اخط يا اخت الرسالة من ضلوعي
بهذا اليوم من دون الهدايا
فما عندى عدا القضبان
سوى قلبي واحلامي
وذكرى محبة عشنا لياليها بلا اقمار
وايام سانقضيها تدور الارض
بها دورتين حول الشمس
ولا التقاك الا من وراء دوائر القضبان

...

خذي قلبي وبعض دفاترى الحمراء
ضعيها فوق احجارى
اضيئي الشمعة الاولى
وقولي اليوم ميلادى.

تتمة دراسة الدكتور اميل توما

من رجال الطائفة الدرزية الى حوران ولا حظ هذه الظاهرة محمد كرد على فكتب : وقضت الطبيعة على بعض رجال طائفة الدروز ان يهاجروا الى جبل حوران فرحلوا اليه في فريق من اخوانهم اهل وادى التيم والجبل الاعلى وصفد وعكا وغوطة ودمشق" . (خطط الشام الجزء ٣ص ١٠٤)

بديهي ان يتصور بعض البحاثة ان السلطنة العثمانية التى كانت تحس بنمو بذور الوعي القومي العربي ، هدفت من وراء هذه المذابح الطائفية ضرب الحركة القومية العربية الجنينية . . وبداهة ان لا تستبعد مثل التصور ولكن الواقع ان هذا الاحتراب الدموى البشع لم يوقف عملية التاريخ الدينامية او يجمد عملية النهوض القومي العربي .

النهضة القومية العربية

استنفر تدهور اوضاع السلطنة العثمانية الاقتصادية والسياسيه وذيول التسرب الكولونيالي وماجره من عواقب وخيمة على حياة الجماهير العربية عددا من المفكرين المتنورين العرب في سوريا لبحث طرق الاصلاح . ولتحديد وسائل معالجة الازمة الاجتماعية .

وعلى امتداد القرن التاسع عشر ظهر هؤلاء المتنورين او الرواد كما عرفهم التاريخ ونشطوا في مختلف الميادين الادبية والاجتماعية والسياسية .

ولا بد لنا عند هذا الحد ان نسقط مزاعم اولئك العرب والاجانب الذين يعتقدون ان هذه النهضة الفكرية الادبية والسياسية ، تعود الى انشاء المدارس التبشيرية الامريكية والبريطانية والفرنسية والروسية . .

فعلا انتشرت هذه المدارس في لبنان وفلسطين . . ولكنها على الرغم من انها زودت الطلاب بالمعرفة الادبية والعلمية ، الا انها قامت في الاساس لتساند زحف الدول الكولونيالية - الامبريالية على المنطقة العربية . . بل ان المؤشرات تؤكد ان القيمين على هذه المدارس نشروا التعصب الطائفي بين المسيحيين . . وكان همهم وهاجسهم تحريض اولئك المسيحيين على الانفصال عن التيار القومي العربي الثورى والميل الى دولهم الامبريالية .

واكد هذه الحقيقة الكاتبان د . مصطفى الخالدى و د . عمر فروخ فكتبا : ان المبشرين كانوا يثيرون الفتن الطائفية "بل يتجسسون لدولهم عسكريا وسياسيا ، وكذلك كانوا يفرقون السكان الى معسكرات . فقد كان الدروز (قيادتهم الاقطاعية ا.ت) يعتمدون على حماية انكلترا ، اما الموارنه (قيادتهم واكليروسهم الرجعيين ا.ت) فكانوا يرون حليفهم الطبيعي في فرنسا" .

ووصفا كيف كان التنافس بين المبشرين يسبب الفتن ، منها فتنة زحلة التى سببها التنافس بين الكاثوليك والبروتستانت في العام ١٨٧٢ وفتنه حمص وغيرها . . (كتابهما التبشير والاستعمار في البلاد العربية بيروت طبعة ثانية ص ١٢٥) .

وليس ادل على هذا الواقع من قيام الهيئات او



المؤسسات التبشيرية بنشر الصحف والمجلات . فاليسوعيون اصدروا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "البشير" والبروتستانت "كوكب الصبح المنير" والروم الارثوذكس "الهداية" . . والموارنة "المصباح" . . .

وفي هذه الظروف اصدر مسلمو بيروت "ثمرات الفنون" واصدرت السلطنة: "بيروت" . .

يقينا ان العناصر الوطنية لم تترك الميدان خاليا ودخلت اليه فاصدرت نخبة من الشباب المتنور وابرزهم اديب اسحق "التقدم" كما اصدر خليل سركيس : "لسان الحال" . . وابراهيم اليازجي اصدر مجلتي "البيان" و "الضياء" . . واحمد فارس الشدياق "الجوائب" .

ولذلك نرى ان هذه المدارس التبشيرية لم ترغب او في نهاية المطاف لم تخدم النهوض القومي العربي او الفكر الاجتماعي المتنور . . كل ما فعلته في احسن الحالات انها زودت الذين آموها بادوات البحث العلمية العامه . . وفقط بعد ان تخوفت من احجام الطلاب عنها بدات بتعليم اللغة العربية وادابها .

واذا كان ذوو المواهب المبدعة ، او الرواد ، قد تلقوا العلم في بعض هذه المدارس التبشيرية . فذلك لا يضفي على تلك المدارس الصفات الحسنة بل يشير الى وعيهم السياسي والاجتماعي الذى مكنهم من الافلات من نفوذ افكار دعاة الكولونيالية من المبشرين .

وفي وسعنا ان نقسم نشاط الرواد الفكرى - على ضوء نتاجهم - بين الميادين التالية : تخليص اللغة العربية من شوائب الانحطاط العثماني وصقلها لتعود الى حيويتها

وجماليتها وابداعها.. تحديد اسس الاصلاح الاجتماعي السياسي واساليب تحقيق ذلك... وبعث الشعور بالقومية العربية وابعاده السياسية.

ومن ابرز الرواد الذين اسهموا في تحقيق الهدف الاول ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) وابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦) وبطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣).. والاخير الف قاموس محيط المحيط وانشأ مدرسة عالية الوطنية في العام ١٨٦٣. والحقيقة ان جميع الرواد اولئك الذين تخصصوا اهتمامهم في الشؤون الاجتماعية والسياسية والقضايا القومية شاركوا في انقاذ اللغة العربية من تدهورها.

كما ان ابراهيم اليازجي كان من طلائع القوميين العرب وهو صاحب القصيدة التي اصبحت من شعارات اولئك القوميين:

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

ولا جدال في ان الاكثرية الساحقة من هؤلاء الرواد بغض النظر عن تياراتهم الفكرية ومناحيهم السياسية اجتمعوا عند التنديد باستبداد السلطنة العثمانية وبطغيانها وعند الدعوة الى الحرية والعدالة.

وهذا الاتجاه يعود الى حد كبير الى موقع هؤلاء الرواد الطبقي فاكثرهم انتسبوا الى عائلات تجارية - برجوازية او الى الطبقة التي نمت فيها مبادىء وايديولوجية الدمقراطية البرجوازية. .كما انهم تاثروا بافكار الثورة البرجوازية الفرنسية التي انفجرت في العام ١٧٨٩ ووصلت اسقاطاتها الى المشرق العربي مع غزوة الحملة الفرنسية في مصر وفلسطين في نهاية القرن الثامن عشر.

وعند هذا الحد لا بد لنا قبل ان نتطرق الى تيارات الاصلاحات الاجتماعية والسياسية التي اعرب عنها الرواد ان نصور الخلفية العامة ونتوقف عند حدث على غاية من الاهمية وهو فرض الدستور على السلطنة العثمانية في ٢٣ كانون الاول من العام ١٨٧٦..

لا جدال ان السلطنة العثمانية كانت تعاني من الازمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية نتيجة بنيتها الاقتصادية الزراعية ورواسب العلاقات الاقطاعية وسيطرة راس المال الكولونيالي وماجره من تدمير الحرف والمشاغل الصناعية وتجميد النهوض الزراعي - الصناعي بالوتيره الدنيا من التطور. ووصف هذه الاوضاع المتردية قائد القوى الداعيه الى الاصلاح الدستورى وابو الدستور مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٣) وهو ينتسب الى عائلة متنورة كان ربها عالما دينيا وقاضي تسلم مناصب قضائية في مختلف الاقاليم..

ومما جاء في وصف مدحت باشا وحلوله: "ان التبذير في الدولة قد بلغ درجة لا تطاق فنظارة المالية ترسل الاموال الى "البابين" (مركز السلطنة ا.ت) فيصرفها السلطان في ملذاته، والنظار (الوزراء ا.ت) يبيعون الوظائف بيع السلع.. والوالي يذهب الى الولاية فيستغل اهلها بانواع الظلم، حتى خربت الولايات ووقعت الدولة في ازمة شديدة ولا سبيل الى الخلاص منها الا بتبديل الادارة المالية، وتبديلها يكون بانشاء مجلس نيابي وجعل النظاره مسؤولين امامه وان يكون هذا المجلس قوميا فلا يفرق في انتخابه بين المذاهب والعناصر وان يوضع الولاة في الولايات تحت المراقبة الشديدة فلا يعبثوا بمصالح الرعية" (نقلا عن كتاب احمد امين "زعماء لاصلاح في العصر الحديث، القاهرة ١٩٤٨ ص ٢٨).

وانطلق مدحت باشا حين طرح حله الدستورى من اقتناعه بضرورة المساواه بين ابناء مختلف الطوائف والقوميات ففي رايه ان السبب الوحيد لتذمر المسيحيين في الدولة هو فقدانهم الحرية فمتى منحوها عطفوا على الدولة وشعروا انهم جزء منها.. اما سبب ضعف المسلمين فهو ايضا فقدان الحرية فمتى شعروا بحريتهم اقدموا على عملهم ونشطوا وكسبوا وتعلموا واستخدموا ذكاءهم ومواهبهم لاسعاد انفسهم واسرتهم وهيئتهم الاجتماعية... وكان يقول ان ارض الدولة العثمانية اخصب ارض في العالم، وهي مع ذلك افقر ارض لهجرة كثير من اهلها بالظلم، واثقال كاهل من بقي منهم بالضرائب.. لاشركات ولا مصانع، والقطن كثير في البلاد ومع هذا فالمنتوجات القطنية تجلب من اوروبا، حتى الطرابيش التي نضعها على رؤوسنا وعلب الكبريت التي نشعل بها نيراننا تجلب من الخارج وكل المواد متوفرة لدينا، ولكن لا عدل ولا امن على المال، فلا شركات ولا صناعات، ولا ياتي العدل الا بالقوانين العادلة والمحاكم العادلة وهذه لا تكون الا بالحرية اى الدستور. (المصدر ذاته ص ٤١ - ٤٢).

وبمعاونة رجال من الجيش والاسطول نجح حزب الدستور بقيادة مدحت باشا بهبة عسكرية تسندها محافل شعبية من العاصمة بعزل السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦) وبعزل السلطان مراد (١٨٧٦ - ١٨٧٦) الذى بويع بعده وانزل عن السلطنة لجنونه وبتنصيب عبد الحميد الثاني الذى وافق على اعلان الدستور.

وجرت الانتخابات بموجب الدستور وتالف مجلس المبعوثان (البرلمان) من ابناء مختلف الاقاليم ومن بينها فلسطين (اذ مثلها يوسف ضياء الخالدى مواطن متصرفية القدس) وتسلم مدحت باشا الصداره (رئاسة الوزراء).

ولكن الفترة الدستورية انتهت بسرعة اذ استطاع عبد الحميد ان يطرد مدحت باشا من "الصدارة" بعد ان اتهمه بالرغبة في اقامة الجمهورية وجند رجال الدين الرجعيين للتحريض عليه بذريعة نواياه على فصل الدين عن الدولة... وبعد ذلك عينه واليا لسوريا... ثم واليا لازمير.. وعند ذلك اعتقلته السلطات واتهمته باغتيال السلطان عبد العزيز الذى عزلته الحكومة وانتحر مجنونا وفي النهاية قضى عبد الحميد على قائد حركة الدستور في الحجاز في اذار العام ١٨٧٧.

وخلال ذلك اى بعد شهرين من اعلان الدستور واجراء انتخابات مجلس المبعوثان حل السلطان عبد الحميد المجلس وعلق الدستور ودشن عهد الاستبداد والطغيان الحميدى الذى استمر حتى الثورة البرجوازية الديمقراطية في السلطنة بقيادة جمعية الاتحاد والترقي

في العام ١٩٠٨ .

ولا شك ان اجهاض "الثورة الدستورية" او نجاح الردة الرجعية بهذه السهولة يعود الى ضعف العاملين اللذين اديا الى نجاحها وهما الحركة الاصلاحية والضغوط الخارجية . اما الحركة الاصلاحية فضعفها يعود الى ضعف البرجوازية التركية وبرجوازيات سائر القوميات المتواجدة في السلطنة ازاء قوة القوى الرجعية وتتمثل في الاقطاعيين او على الاصح كبار اسياد الارض ورجال الدين المتزمتين والمتنفذين والبيروقراطية التي كانت تتمتع بالامتيازات المختلفة .

ومن الواضح ان القوى الشعبية ـ الفلاحين والعمال والحرفيين لم يكن في وسعهم التحرك ، لغياب التنظيم لمساندة الحركة الثورة الدستورية .. ومن الممكن ان نستخلص كذلك ان العسكريين في هذه الحركة لم يكسبوا تاييد القوات المسلحة او انهم عجزوا او تراجعوا عن التصدي للردة الرجعية .

اما الضغوط الاجنبية فتلاشت لان عبد الحميد نجح في اقناع ممثلي الدول الكولونيالية بقدرته على صيانة مصالحه .. والاتفاق على مطالبها الاصلاحية .

وجدير بنا هنا ان نشير بهذا الصدد الى ان ممثلي الدول الاوروبية الكبرى عقدوا مؤتمرا في العاصمة العثمانية الاستانة في يوم اعلان الدستور للمطالبة باصلاح الادارة العثمانية في ما بقي من اقاليم في البلقان .. فلما اصدر عبد الحميد مرسوم الدستور الذى اقترن باطلاق المدافع والمظاهرات اسقط بايدى المؤتمرين وتفرقوا ولم يعودوا الى الاجتماع .

ونعود الان الى التيارات الاصلاحية الثلاثة ..

وراى اصحاب التيار الاول ان الاصلاح يتم عن طريق الاصلاح الديني الاسلامي ومثله على الصعيد العام جمال الدين الانفغاني (١٨٣٩ ـ ١٨٩٧) ورفيقه في الكفاح الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥) .وتلخصت دعوة هذين المفكرين ومن سار على دربهما في الدعوة الى الدمقراطية البرجوازية والنظام البرلماني فذلك هو سبيل انهاض دولة الاسلام من ضعفها "وتنبيهما للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة ، وتلحق الدولة بالدول القومية فيعود للاسلام نشائه وللدين الحقيقي مجده ويدخل في هذا تقليص ظل بريطانيا في الاقطار الشرقية" (تحديد محمد عبده لرسالة جمال الدين اورده احمد امين في كتابه المذكور اعلاه ص ١٠٦)

وانطلق جمال الدين الافغاني من وهم مثالي يعتقد بامكان تحقيق الجامعة الاسلامية او توحيد الدول والشعوب الاسلامية ، باقناع زعماء وامراء وحكام تلك الدول .. وكان عليه ان يمر في معاناة مضنيه ويصاب بخيبات امل شديدة حتى يقتنع ان هؤلاء الحكام لن يقتنعوا بسهولة بقبول افكاره الدمقراطية البرجوازية ولن يتنازل اى منهم عن موقعه او مصالحه الضيقه في سبيل الجامعة الاسلامية واعلاء شان الاسلام ..

ومع هذا فمكانة جمال الدين الافغاني في العملية الثورية عالية لانه دعا الجماهير الى الكفاح من اجل الممارسة الدستورية وفرض الشورى (البرلمانية) على حكامهم .. والى مقاومة الكلولونيالية والامبريالية وبخاصة اخطر اذرعها بريطانيا .

اما ابرز ممثل هذا الاتجاه في سوريا (بما في ذلك فلسطين) فكان عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ ـ ١٩٠٢) الذى شارك في تحرير اول صحيفة في مدينة حلب : "الشهباء" وادان الطغيان المريع في كتابه "طبائع الاستبداد" . وطرح حلوله في كتابه "ام القرى"

وهو عبارة عن ندوة تخيل عقدها في مكة بحضور ممثلي المسلمين في مختلف الاقاليم الاسلامية الممتدة من الشام الى الهند والصين شرقا واليمن جنوبا وايران شمالا وتونس غربا . وقرر ان المؤتمرين اتفقوا على ان تدهور مكانة الاسلام وتردى اوضاع السلطنة مرجعه الاستبداد وفقدان الحرية واهمال الدين وخطأ تفسيره وفقدان الرابطة الدينية واهمال العلم والفقر وغياب القادة والزعماء وراى ان الخلافة الاسلامية ستعود الى سابق عهدها الزاهر اذا انتقلت من ايدى الاتراك الى ايدى العرب .

وفي هذه الفترة ظهر تيار "عثماني" اشتد في مطلع القرن العشرين بعد ثورة ١٩٠٨ (٦) ومثله في هذا الوقت المبكر خليل غانم السوري الذى مثل سوريا سوية مع يوسف ضياء الخالدى "الفلسطيني" في مجلس المبعوثان بعد صدور الدستور في ١٨٧٦ .

لقد فر غانم بعد تعليق الدستور الى باريس حيث اصدر جريدة "تركيا الفتاة" وكتب في احدى مقالاته في العام ١٨٩٧ يدعو الى الاصلاح في الدولة العثمانية :

"ان فئة الشباب العثماني ليست تابعة لاى شخص ولا ملكا لاى جمعية . انها خلاصة الافكار الرامية الى انتصار الاهداف العامة . انها هبة عامة تسعى بواسطة النشرات وبمعاونة اصحاب الراى والوجدان الى احقاق الحق والقضاء على الظلم والاستبداد .." (كتاب توفيق على برو المذكور اعلاه ص ٥٠)

ولكن التيار الفكرى الذى بدأ يرجع ازاء الاستبداد والطغيان الحميدى كان التيار القومي العربي لانتساب اكثر الرواد اليه وتمسكهم به

و، اوائل هؤلاء الرواد فرنسيس فتحي مراش (١٨٣٦ ـ ١٨٧٣) الحلبي وقد ولد في عائلة تجارية واصدر كتابيه "نما به الحق" "ومشهد الاحوال" ...وفي كتابه نما به الحق وصاغه على نسق كتاب جحيم دانتي ، دعا العرب الى اليقظه من غفلتهم وحرضهم على نبذ الاستبداد والذل والعبودية من قبضة الاتراك (مشاهير الشرق ، جرجي زيدان ص ٢٣٢) .

ولعل ابرز داعية للقومية العربية كان اديب اسحق (١٨٥٦ ـ ١٨٨٥) وينتسب هو الاخر الى عائلة تجارية دمشقية وعمل في الصحافة كما ذكرنا حين اشرنا الى صحيفة "التقدم" ومثل غيره من الرواد اعداء الاستبداد الحميدى ، غادر وطنه الى مصر حيث انشا جريدة اسبوعية عربية ـ مصر ـ ثم اصدر جريدة يومية: "التجارة" : "فاحدث ذلك (على راى جورج زيدان ا .ت) حركة في

الافكار وحرية في الاقوال لم تكن معروفة من قبل فاصدرت الحكومة امرها بالغائهما." (ص ٧٦).

واتسمت كتابات هذا الرائد بالثورية وفي كتابه "الدرر" دعا الى الثورة والقضاء على اعداء الحرية والعدالة..

ولعله اول كاتب عربي حدد معالم العالم العربي جغرافيا ونادى بالدولة العربية الواحدة في وقت كانت فكرة القومية العربية فيه لا تزال تواجه التيار الاسلامي.

كتب في مقالة "دولة العرب": "والا فما للحجاز محجوز الانوار وما للشام مشؤوم الاحوال ولمصر مقرونة الطالع بالعسر، وما لعراق مؤذن العز بالفرات، وما لحلب متوالية النوب وما ليمن فاقد اليمن وما لتونس عديمة الانس وما للغرب (المقصود المغرب العربي أ.ب) منهمل الغرب... الم يكن في كل هذه الاقطار نفر من اولي العزم تبعثهم الغيرة والحمية على جمع الكلمة العربية فيتلافون احوالها قبل التلاف متظاهرين كالبناء المرصوص كصخور تلاحمت فصارت جبلا حصينا لا تؤثر فيه العواصف ولا تضعضعه الزلازل"

والواقع ان تصاعد نمو التيار القومي العربي انعكس ايضا على عبد الرحمن الكواكبي الذي انتمى الى منحى الاصلاح الاسلامي..ولهذا كتب في طبائع الاستبداد ولعله بذلك توخى مجابهة ذيول مذابح الستين الرهيبة: "يا قوم واعني بكم الناطقين بالضاد من غير المسلمين ادعوكم الى تناسي الاحقاد وما جناه الاباء والاجداد، فهذه امم استراليا واميركا (٧) قد هداها العلم لطرائق شتى واصول راسخة للاتحاد الوطني دون الديني والوفاق الجنسي (بمعنى القومي أ.ت) دون المذهبي، والارتباط السياسي دون الاداري، فما بالنا نحن لا نفكر في ان نتبع احدى تلك الطرق او شبيهها فيقول عقلاؤنا لمثيري الشحناء من الاعجام والاجانب دعونا يا هؤلاء نتدبر شاننا، نتفاهم بالفصحى، ونتفاهم بالاخاء

ونتواسى في الضراء ونتساوى في السراء. دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الاديان تحكم في الاخرة فقط، دعونا نجتمع على كلمات سواء الا وهي فلتحيا الامة فليحيا الوطن فلنحيا طلقاء" (كتاب الثورى العربي المعاصر دار الطليعة بيروت ١٩٦٠ ص ٧١ — ٧٢).

ويقيننا ان لجوء السلطان عبد الحميد الى ترويج فكرة الجامعة الاسلامية وبخاصة في الاقاليم العربية ليحافظ على امبراطوريته الباقية اسهم في نمو الوعي القومي العربي.. فاوساط واسعة من الفئات المتنوره لم تؤمن بزعمه ان نشر فكره الرابطة الاسلامية هو السبيل لمقاومة الاطماع الاوروبيه بل اقتنعت بان الاستبداد والقساوة الحميديين سيبقيان ما دام النظام الاجتماعي ـ السياسي السائد قائما... وبان النظام العثماني لا يقاوم اطماع الكولونيالية ـ الامبريالية بل يمهد الطريق امام تغلغل الدول الكولونيالية الامبريالية الى اقاليم السلطنة على اوسع نطاق..

ويمكن ان نقرر ان عبد الحميد استطاع ان يتظاهر بالعطف على مختلف القوميات في السلطنة، وغالى وتطرف في ابداء العطف على الاسلام.. ولتضليل الرأى العام نفذ مشروع بناء خط سكة حديد الحجاز "لتسهيل الحج وتوطيد عطف المسلمين على الخلافة الاسلامية ومركزها عاصمة السلطنة العثمانية وخليفتها عبد الحميد

وما يدل على ان عبد الحميد استطاع ان يكسب تاييد بعض العناصر فقد بدأ المشروع في العام ١٩٠٠ وانفق عليه ثلاثة ملايين ليره جمع ثلثيها من تبرعات المسلمين.. (تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين الجزء ٢ فيليب حتى ص ٣٤٩).

وباقتراب المرحلة القادمة من التطور ادرك المفكرون العرب " وبخاصة في لبنان الذى مزقته الحرب الطائفية خطورة هذه الظاهرة ودعوا الى رابطة تجمع بين المواطنين على اختلاف مذاهبهم واستوحوا التاريخ المشترك والمنجزات الحضارية العربية المشتركة التى اسهم فيها الناطقون بالعربية من كافة المذاهب لجمع ابناء الامة وراء هدف واحد يؤكد الهوية القومية للعرب كخطوه اولى فى سبيل وحدتهم وتحررهم ورقيهم"

ولم يكن غريبا أن يبرز الرواد في سوريا ولبنان حيث البرجوازية نمت بوتيرة اسرع من غيرها.. الا ان ذلك لم يمنع انشاء التيار القومي العربي في فلسطين... والحقيقة ان فلسطين شهدت في هذه الفترة تطورا فى التعليم ونشاطا فكريا وثقافيا احتل فيه المتنورون امثال يوسف ضياء الخالدى مكان الصدارة.. وهذا النهوض ظهر عند انتقال النهوض الفكرى القومي الى حيز العمل والحركة وبخاصة في ظروف التحدى الامبريالي الصهيوني وهذا سيكون موضوع الفصل القادم.

---

١) هذا المبلغ (٥٣٠٠ مليون فرنك) كان الدين الاسمي اما ما تسلمته السلطنة فعلا فلم يزد عن ٣٠٠٠ مليون فرنك.. فالبنوك كانت تحسم الفوائد والعمولة مسبقا.. و هذه الفوائد والعمولة وصلت في الواقع ٤٣٠٢ في المئة من القروض.

٢) مذكرته حول وضع انكلترا وفرنسا وزارة الخارجية وثيقة ١٣٨٥/٧٨ في العام ١٨٥٨

٣) استعرض ساطع الحصرى في كتابه البلاد العربية والدولة العثمانية تفاصيل هذه الاتفاقات وملابساتها صدر الكتاب عن دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٠

٤) لقد عالج هذه المعارك الطبقية عدد كبير من الكتاب السياسيين ومن بينهم يوسف خطار الحلو.. وفؤاد قازان ويوسف يزبك..

٥) هذه المساواة نص عليها الاصلاح السابق وأُلف جزءا مما عرفناه "بالتنظيمات الخيرية".

٦) سنعود الى هذا التيار فيما بعد حين نعالج اسقاطات تلك الثورة في الفصل القادم

٧) لم ينتبه اولئك الرواد الى كثير من الحقائق السلبية والخطرة في الدول الكولونيالية ـ الامبريالية ولذلك نجد في كتابات ومواقف عدد منهم منطلقات غريبة عن التفكير الوطني السليم مثل التمثيل باميركا واستراليا اللتين قامتا على دمار الشعوب الاصلية.. ولكن ذلك لا يغير من قيمة هؤلاء الطليعيين.

بقية مقال انطوان شلحت

للهجوم. وتاكيدا على رغبتهم القوية في القتال دار هؤلاء الشبان بعد ذلك في ازقة القرية وهم يهتفون بحياة الانتصار القريب وينشدون اناشيد الكراهية والانتقام. وعجت القرية برجال ذوى شوارب كثة يلبسون "العباءات" ويعتمرون "الكوفية والعقال". احزمة الرصاص ماثلة على صدورهم. و "الشبريات" اللامعة مغروسة في احزمتهم. بنادق مما هب ودب، قديمة وحديثة، في ايديهم. لقد تجمع حول المقهى عشرات المقاتلين مثيل هؤلاء وذلك لسماع قرارات القادة المجتمعين في الداخل. وسرت اشاعة بان المجتمعين اتخذوا قرارا يقضي بمنح المقاتل البارع في المعركة واحدة من نساء اليهود الجميلات. لقد احمرت الاعين. وانتصبت الشوارب. وحتى مساء ذلك اليوم تجمع في قرية الحمدية حوالي ٤٠٠ مقاتل عربي مسلح. واستمر وصول عشرات المقاتلين الاضافيين الى المكان.

وفي المستوطنات العبرية القريبة والبعيدة ساد الحذر الشديد. كل مستوطنة عبرية صغيرة ومعزولة كانت معرضة ايضا لهجوم العرب عليها مثل بيت غيبع – ولهذا لم يكن بالامكان نقل قوات كبيرة ومعدات عسكرية كثيرة من المستوطنات الاخرى الى بيت غيبع. رغم كل ذلك ارسلت قبل المساء نجده الى الكيبوتس من الخضيرة. بلغ عدد افراد النجدة ٣٢ شخصا، كانوا مسلحين، اساسا، بالمسدسات وبالقنابل من صنع محلي. كان من الصعب الحصول على بنادق. ولم يكن بامكان هذه النجدة ان تعبر الطريق المؤدية الى الكيبوتس الا فقط بعد حلول الظلام خوفا من ان يحس بها البريطانيون في وضح النهار فيجردوها من سلاحها.

كان من الواضح انه ليس بمستطاع المسدسات والقنابل ان تغير الى حد كبير من وضع الكيبوتس اليائس. اضف الى ذلك ان ذخيرة المسدسات كانت ضئيلة وعدد القنابل قليل جدا. واصدرت مؤسسات المستوطنات امرا لقائد النجدة ان يدافع عن الكيبوتس فقط بهذه الذخيرة ريثما يتم تنظيم نجده اضافية في ساعات المساء اللاحقه تكون مسلحة بالبنادق المجلوبة من اماكن بعيدة. لكن نجدة كهذه كان يمكن ان تصل فقط في ساعات المساء المتاخرة.

لم يكن الحاج ابراهيم والشيخ عبد الله الكونتاوى قائدا العصابات العربية، مغفلين وعلما انه كلما بكرا في مهاجمة الكيبوتس كلما زادت ممكنات احتلاله بسهولة. انتظرا غروب الشمس وغادرا مجلسهما في المقهى من اجل تعبئة رجالهم للمعركة الكبرى".

ويتضح هدف المؤلف من وراء هذا الشرح المفصل لاستعداد العرب من اجل شن الحرب على اليهود لاحقا "في تلك اللحظة (والعرب يعباون انفسهم المعركة الكبرى) فرقعت فرامل شاحنة في الساحة الصغرى قبالة المقهى. وشرع عشرون فردا كانوا على ظهرها في اطلاق النار من بنادقهم ومسدساتهم على الجماهير المتجمهرة للحرب امام المقهى. قذفت خمس قنابل من الشاحنة الى داخل المقهى وانفجرت هناك محدثة دويا هائلا" (ص ١٣٨ - ١٣٩).

اذن: وحشية اليهودى هنا هي شرعية؟ ثم من قال ان هذه "العملية البطولية" هي وحشية؟؟ اين منها وحشية العصابات العربية؟؟ – هذه هي ملخص الاسئلة التي تراود ذهن الطفل اليهودي لدى مطالعة هذه النصوص ولسان حاله يقول "العرب يستاهلون اكثر من هذا"؟؟

في الفاتح من ايلول ١٩٨١ ترجمت "الاتحاد" مقال البروفسور يسرائيل شاحك تحت العنوان "ماض لا يمكن ان ننساه في تاريخ الحركة الصهيونية. كيف اهدرت عصابات الهاغناه والاتسل والبلماخ دم العرب الفلسطينيين الابرياء من اجل رفع معنويات اليهود؟" وصف فيه عمليات الارهاب التي نفذتها هذه العصابات واطلقت عليها لقب عمليات انتقامية" واعتبرت منفذيها ابطالا صناديد وذلك بالاعتماد على المقالين اللذين نشرهما الدكتور اورى ميلشتاين في صحيفتي "هارتس" و "دفار". انني ارى لزاما هنا ان اقتبس بعض ما جاء في هذا المقال الهام:

"سوف ننتقل مباشرة الى العملية الاخيرة التي يصفها الدكتور ميلشتاين في مقاله هذا. حدثت في كانون الاول ١٩٤٧. في تلك الايام، يذكر الكاتب، صدرت اوامر للاتسل بضرب "التجمعات الكبيرة للجماهير العربية".

واصدر هذه الاوامر قائد الاتسل في تلك السنة مناحيم بيغن. وبحسب هذه الاوامر فقد تم ارسال احدى سيارات الاتسل في حيفا، بقيادة شخص يدعى يريف، "بحثا عن هدف مناسب في حيفا التحتانية". وبعد جولتهم قدموا تقريرا لقائد الاتسل في حيفا شموئيل مايتين، افادوا فيه ان التجمع العربي الوحيد هو مصافي النفط. وافق مايتين، عادت السيارة الى مصافي النفط والقى ركابها ثلاثة صناديق ملأى بالمواد المتفجرة وقطع الحديد على العرب. نتيجة لذلك قتل ستة وجرح العديدون".

ان البقية تثير الاهتمام. لقد عمل في المصافي آنذاك، حسب مقال الدكتور ميلشتاين، ٤٧٠ عاملا يهوديا و ١٧٠٠ عامل عربي. اذن فقد نشات علاقة عمل وتفاهم متبادل بين اليهود والعرب. وحالا بعد قذف القنبلة الفتاكة قدر العاملون العرب، بشكل خاطئ طبعا، ان العاملين اليهود ساعدوا الى حد ما على تنفيذ هذه العملية فشنوا هجوما عليهم استعملوا خلاله ادوات عملهم. ومنع البريطانيون العمال اليهود من دخول مخزن السلاح. وقتل خلال ذلك ٤١ عاملا يهوديا حتى جاءت قوات الامن البريطانية، التي لم تبذل اى جهد للقبض على الجناة وانما احضرت باصات وارسلت كل طرف، على حدة الى بيته.

وكيف ردت الهاغناه؟؟ قررت في الغداة مهاجمة ما اسماه الدكتور ميلشتاين "قرية المشاغبين"، بلد الشيخ قرب حيفا. لانه "وصلت معلومات اليها تفيد ان المحرضين والقتلة يسكنون هناك".

لقد وصف هذه "العملية" ضد قرية بلد الشيخ حاييم

افينوعم (الذى يشغل منصب ضابط فى شرطة اسرائيل) وكان فى حينه قائد وحدة فى البلماخ- كما يذكر" الدكتور ميلشتاين. قاد الوحدة المدعو دان ليز (يعيش اليوم فى كيبوتس نانوت مردخاى وهو عضو فى حزب "هتحيا" الفاشي، الذى دعا للتصويت له فى انتخابات الكنيست الاخيرة). لقد استدعي على الفور للمثول امام موشي كرميل في حيفا " وبعد ان عاد من هناك اصدر اوامره - يقول افينوعم- بمهاجمة بلد الشيخ بقصد قتل ١٠٠ شخص وعدم اصابة النساء والاطفال ".

ووضعت تحت امرة افينوعم وحدتان ثانويتان من اجل تنفيذ هذه العملية قاد احداهما يتسحاق حوفي، الذى اشغل فيما بعد منصب جنرال فى الجيش الاسرائيلي، وقاد الاخرى الدكتور بنحاس زوسمان، الذى اشغل فيما بعد منصب مدير عام وزارة الحربية. ويذكر افينوعم بافتخار ان رجال الوحدتين كانوا من سكان المستوطنات وانه بعد ان شرح لهم الاوامر والوضع لم يرفض اى منهم الذهاب لاداء هذه المهمة "وان عانى بعضهم من مشاكل ضميرية".

ونفذت العملية- المهمة "حسب ما خطط لها". دخلوا القرية "وتنقلوا من بيت الى بيت وقتلوا الرجال". لم تكن اية مقاومة وفقط لدى محاولة اقتحام البيت الاخير لاقى احد الافراد مصرعه. ورغم ان الجنود البريطانيين اطلقوا عيارات نارية من داخل سياراتهم المدرعة لكنهم "لم يشوشوا العملية". "كانت المفاجاة تامة. وفقط من داخل بيت واحد اطلقت النار صوبنا. وابان تبادل اطلاق النار اصبنا ايضا النساء والاطفال. لقد كان هذا هو الانحراف الوحيد. بعد ان قتلنا اكثر من مئة شخص عدنا الى ياغور". ويستطرد السيد افينوعم "تم تحقيق الهدف بشكل عام. وتصرف الرجال على ما يرام.

ابطال الامس قدوة اليوم

يركز افنير كرميلي في قصة اخرى (البحارة في عملية الرمح) على وصف سمات أبطال الأمس من خلال الدعوة المبطنة لأن يكونوا قدوة الحاضر والمستقبل. يكتب عن "البحارة": "هؤلاء الفتية الصغار، رغم ان ايا منهم لم يبلغ سن السابعة عشرة بعد، كانوا خبراء حرب مثل جنود قدامى شاركوا في عدد من الحروب. لماذا؟؟ لأنهم حاربوا بكل ما اوتوا من قوة من اجل المثل السامي الذى وهبوا كل حياتهم ومواهبهم وقواهم ونشاطهم من اجله- انه مثل تحرير شعب اسرائيل وارض اسرائيل من المحتلين الغرباء واقامة اسرائيل المستقلة النامية المزدهرة.

ولهذا فهم لم يحاربوا بفعل الطاعة الحديدية العمياء مثل جنود في جيش اعتيادى انما حاربوا كمتطوعين بود ورغبة كبيرة. عندما كان قوادهم يدربونهم على استعمال السلاح ويعلمونهم كيفية التصرف ابان الحرب وكيفية التخندق في الأرض والتسلل خلسة بين صفوف العدو وكيفية الانقضاض على مواقع العدو واحتلالها كان المحاربون الشبان هؤلاء يعيرون كل انتباههم لجميع اقوال المرشدين ويحفظونها جيدا عن ظهر قلب ويحفرونها في ذاكرتهم وبعد ذلك في ساعة القتال الحقيقي كانوا يعودون على هذه الأمور بنجاح منقطع النظير. شجاعتهم لا تعرف الحدود واخلاصهم للوطن ولبعضهم البعض يثير اعمق مشاعر الدهشة. ان الثقة التي يحوزونها والتي تدفع كل واحد فيهم لاداء واجبه حتى النهاية بدون الخوف امام الخطر وبدون ترك زميله تحت اى ظرف، هذه الثقة الشجاعة المتكاملة منحتهم القوة والبطولة، والروعة عند الحرب حولتهم الى وحدة ماحقة رهيبة لا يمكن الوقوف حيالها" (ص ١٤٠).

هؤلاء "البحارة" سن قائدهم قانونا لهم ينص على انه "لا يجوز التخلي عن السعي الى تحقيق الهدف حتى يتم احراز الهدف وليكن ما يكون. حتى لو فشل البحارة ثلاث او اربع او خمس او ست مرات في طريقهم القاسية الى قرية العدو ام الفحم فسيخرجون مرارا وتكرارا من اجل الوصول اليها ومهاجمتها وبذلك يتسنى لهم احراز الهدف. ذلك هو "قانون الحديد" بالنسبة للبحاره" (ص ١٤٢-١٤٣).

ام الفحم

يثير ذكر "قرية العدو ام الفحم" رنة خاصة في ذهن قارئ هذه القصص لكونها لا تزال قائمة حتى يومنا هذا.

فى قصة ثالثة (البحارة في عملية الفأس) يرد ذكر ام الفحم كثيرا مثل "القرية العربية سيئة الصيت ام الفحم (ص١٠). كما يرد وصف لأهاليها على هذا النحو "اليس هؤلاء العرب هم اناس حمقى تربوا كل حياتهم على تقديس القوة والمال؟" (ص ١٩).

كما تتردد كثيرا جملة "المقاتل العربي (من ام الفحم - ا. ش) ذو المظهر الوحشي والقلب القاسي".

والسؤال هنا هو: ماهي الضمانة في أن لا تختلف نظرة الطفل اليهودى الى ام الفحم الأمس، بفعل هذه النصوص المسمومة، عن نظرته الى أم الفحم اليوم او الى اية قرية عربية أخرى؟؟

يتبع في العدد القادم الحلقة الثانية والأخيرة

١٩٥١

الجديد

عدد ١ ملحق شهري لجريدة الاتحاد ١٩٥١

الجديد

عدد ١ ملحق شهري لجريدة الاتحاد تشرين الاول ١٩٥١



للآداب والعلوم والفنون

الجديد

تصدر في حيفا منذ العام ١٩٥١

ثلاثون عاما .. وألف تحية

اتوجه الى كل فتاة تكتب لتساهم في "الجديد" .. ونشر الثقافة الوطنية



"الجديد" .. ليست ككل مجلة، ليست للتسلية ولا "لتضييع الوقت" .. انها مجلة الثقافة التقدمية الملتزمة بالدفاع عن قضايا الشعب وهي صاحبة الفضل في نشوء حركة ثقافية عربية وطنية وثورية في هذه البلاد، اذ ربّت اجيالا على الكرامة القومية والمواقف الانسانية والتقدمية.

"الجديد" لم تهمل المرأة .. بل عالجت قضاياها في اكثر من عدد واكثر من قضية .. بالاضافة الى أن كل ما ينشر في "الجديد" يهمنا كامهات وجزء فعّال ونشيط في مجتمعنا .. كان ذلك في الشؤون الادبية والثقافية أو في الشؤون السياسية والاجتماعية. وكم كنت أتمنى أن تكثر اسماء الكاتبات في "الجديد" .. لتنشأ عندنا حركة من الاقلام النسائية التي بامكانها أن تقدم الكثير للحركة الثقافية المحلية بمساهمات أدبية جادة. ولهذا فانني أتوجه الى كل فتاة تكتب لتساهم في "الجديد" بأن ترسل انتاجها لانني واثقة أن هيئة التحرير سترعى هذه الاقلام وتشجعها فقد يأتي يوم وتظهر اسماء لكاتبات يكون لهن دور كبير وفعّال في تعميق الوعي ونشر الثقافة التقدمية الوطنية.

فالى "الجديد" ومحرريها وكتّابها وموّزعيها وقرائها وجميع العاملين فيها اقدم الف .. الف تحية والى الامام ...

سلوى موسى